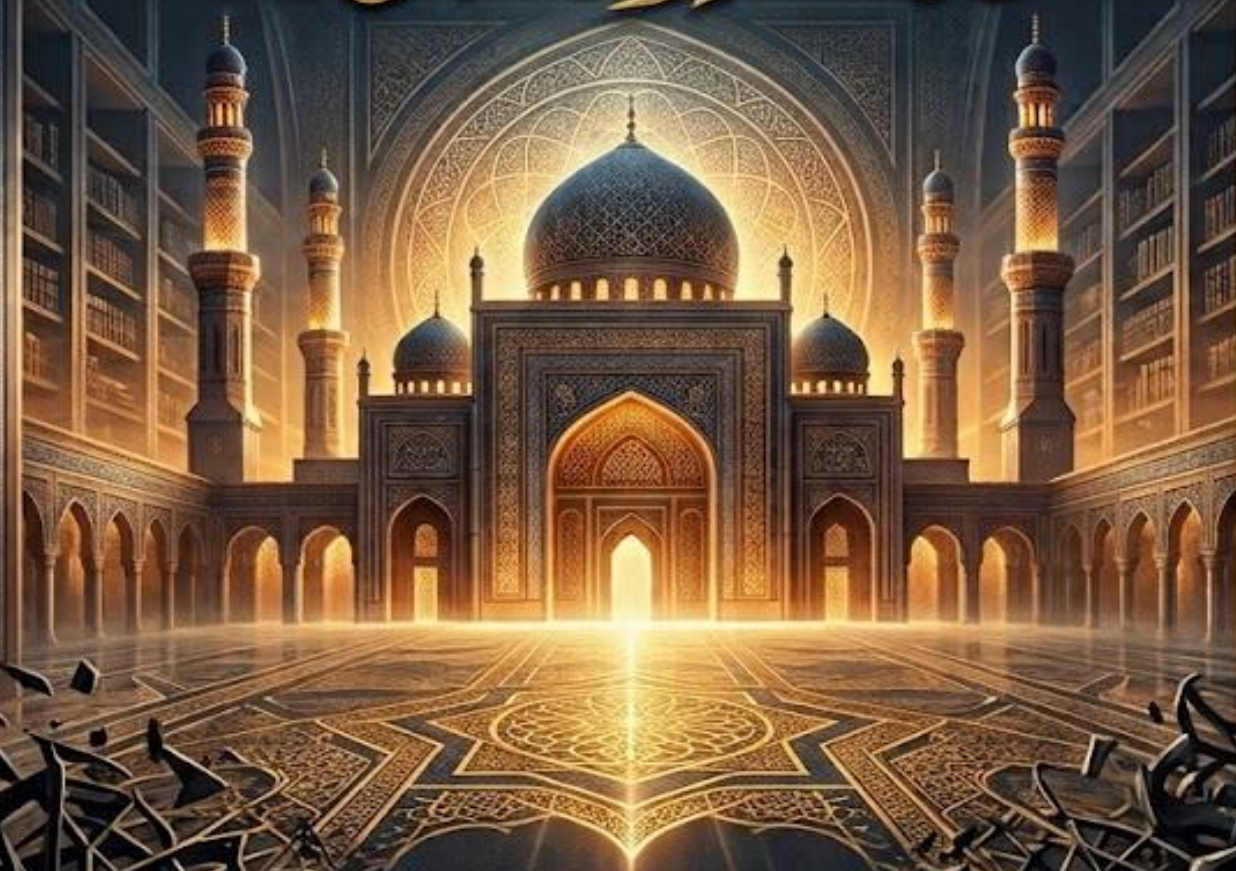


فَقْرُ النَّظَائِمِ وَمَخَاطِرُ الْعُشْوَانِيَّةِ



تأليف

فضيلة الشيخ حذيفة حسين القحطاني

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الكون بميزان، وأقامه على نظام وإحكام، فلا اضطراب في خلقه، ولا خلل في سننه، قال تعالى: (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل: ٨٨]، وقال سبحانه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩]. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أقام دولةً على النظام، وربّى أمةً على الانضباط، وأرسى في النفوس معاني الإتيان والإحسان، فقال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

أما بعد:

فإن النظام من أعظم القيم التي جاء الإسلام لترسيخها، وهو ليس مجرد وسيلة لتنظيم شؤون الحياة، بل هو أصل شرعي ومبدأ حضاري، تتجلى آثاره في العقيدة والعبادة، وفي الأخلاق والمعاملات، وفي الأسرة والمجتمع، وفي إدارة الدولة وبناء الحضارة. وما من عبادة شرعها الله تعالى إلا وأحاطها بنظام دقيق، ولا معاملة أذن بها إلا وقيدتها بضوابط تحفظ الحقوق وتصون المصالح، حتى غدا النظام سمةً ظاهرةً في التشريع الإسلامي، ودليلاً على كمال هذا الدين وشموله.

وفي المقابل، تمثل العشوائية صورةً من صور الخلل في الفكر والسلوك والإدارة، وهي سبب لكثير من الإخفاقات الفردية والاجتماعية، إذ تفضي إلى ضياع الأوقات، وهدر الطاقات، وتعطيل المصالح، وفساد الأولويات، واختلال الموازين. وكلما ضعفت قيمة النظام في حياة الأفراد والمؤسسات، اتسعت دائرة العشوائية، وانعكس أثرها على التنمية، والتعليم، والاقتصاد، والدعوة، وسائر مجالات الحياة.

وقد أصبحت العشوائية في عصرنا ظاهرةً تستحق الدراسة والتحليل؛ لما صاحبها من تغيرات اجتماعية وثقافية وتقنية أسهمت في انتشارها، حتى غدت تؤثر في صناعة القرار، وإدارة الوقت، والتخطيط للمستقبل، والعلاقات الأسرية، والالتزام الوظيفي، والعمل الدعوي، بل وفي فهم كثير من الناس للدين وممارستهم له.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب الموسوم بـ «فقه النظام ومخاطر العشوائية»؛ ليعلم الضوء على مفهوم العشوائية من الناحية اللغوية والاصلاحية، ويبين حقيقة النظام في التصور الإسلامي، ويكشف الأسباب التي أدت إلى انتشار مظاهر العشوائية في المجتمعات، ثم يستعرض أبرز صورها وآثارها في حياة الناس، مع بيان المعالجات الشرعية والتربوية التي تعيد للأمة قيمة الانضباط والإتقان، وتغرس ثقافة التخطيط وتحمل المسؤولية.

وسيعرض هذا الكتاب — بإذن الله تعالى — جملةً من المحاور، من أبرزها:

□ تعريف العشوائية لغةً واصطلاحاً، وبيان الفروق بينها وبين الاجتهاد المشروع والمرونة المحمودة.

□ بيان أن الإسلام دين النظام والإتقان، واستعراض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء.

□ أسباب انتشار العشوائية في حياة الأفراد والمجتمعات، وآثارها الفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.

□ أبرز صور العشوائية في حياة الناس، في العبادات، والأسرة، والتعليم، والإدارة، والعمل، والدعوة، واستثمار الوقت، وغيرها.



□ الوسائل الشرعية والتربوية لغرس ثقافة النظام والإحسان، وبناء الشخصية المسلمة المنضبطة.

ولا يدّعي هذا الكتاب الإحاطة بجميع جوانب الموضوع، وإنما هو محاولة علمية لتأصيل مفهوم النظام في الإسلام، والتنبيه إلى خطورة العشوائية وآثارها، وربط ذلك بالنصوص الشرعية ومقاصدها، رجاء أن يكون لبنَةً في نشر ثقافة الانضباط والإتقان، وإحياء قيمة عظيمة من القيم التي قامت عليها هذه الشريعة الخالدة.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارؤه، وأن يجعله سبباً في ترسيخ فقه النظام، ومحاربة الفوضى والعشوائية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الحديث عن العشوائية وضرورة معالجتها

إن الحديث عن العشوائية لم يعد ترفاً فكرياً، ولا قضيةً نظريةً مجردة، بل أصبح ضرورةً شرعيةً وحضاريةً تفرضها تحديات الواقع؛ لما خلفته العشوائية من آثار سلبية مست جوانب الحياة المختلفة، وأثرت في سلوك الأفراد، وأداء المؤسسات، واستقرار المجتمعات. فكلما ضعفت قيمة النظام، واتسعت دائرة الارتجال، ظهرت الفوضى، واختلت الأولويات، وضاعت الحقوق، وتبددت الجهود، وتعطلت المصالح.

وقد جاء الإسلام ليبني الإنسان المنظم، الذي يسير في حياته وفق منهج واضح، وخطة محكمة، وانضباط يحقق مصالح الدنيا والآخرة. فالنظام في الإسلام ليس مجرد خلق محمود، بل هو عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، إذ إن كثيراً من التشريعات الإسلامية لا تستقيم إلا بالانتظام والانضباط، كالصلاة في أوقاتها، والصيام في زمانه، والحج في مواقيته، والزكاة في أنصبتها، مما يدل على أن النظام جزء من هوية المسلم، وأن العشوائية خروج عن هدي الشريعة ومقاصدها.

وتزداد أهمية دراسة العشوائية في هذا العصر؛ لأنها تجاوزت كونها سلوكاً فردياً إلى أن أصبحت ظاهرةً تؤثر في التربية، والتعليم، والإدارة، والاقتصاد، والإعلام، والعمل الدعوي، والعلاقات الأسرية والاجتماعية. وأصبحت سبباً في ضياع الطاقات، وإهدار الموارد، وتأخر الإنجاز، وضعف الإنتاجية، وكثرة الأخطاء، وانتشار النزاعات، وفقدان الثقة بين الأفراد والمؤسسات.

ومن هنا فإن معالجة العشوائية ليست مسؤولية فرد بعينه، وإنما هي مسؤولية مشتركة تبدأ من الأسرة، وتمر بالمؤسسات التعليمية والتربوية، وتمتد إلى المساجد والجامعات ووسائل



الإعلام ومؤسسات الدولة، حتى تتكون ثقافة عامة تؤمن بأن النظام أساس النجاح، وأن الإلتقان سبيل النهضة، وأن التخطيط وحسن التدبير من مقاصد الشريعة الإسلامية.

ويهدف هذا الكتاب إلى تأصيل مفهوم النظام من منظور إسلامي، وتشخيص مظاهر العشوائية وأسبابها وآثارها، ثم تقديم معالجات شرعية وتربوية وعملية تسهم في بناء شخصية منضبطة، ومجتمع أكثر وعياً، ومؤسسات أكثر كفاءة. فالأهم لا تُبنى بالعشوائية، ولا تنهض بالفوضى، وإنما ترتقي بالنظام، والإلتقان، وحسن الإدارة، والالتزام بالسنن الشرعية والكونية التي أقام الله عليها هذا الوجود.

الفصل الأول_ معنى العشوائية

المبحث الأول: تعريف العشوائية لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف العشوائية لغةً

العشوائية مصدرٌ صناعيٌّ من العَشَو، وهو يدل في أصل اللغة على السير من غير هداية، أو الإقدام على الأمر من غير بصيرة ولا تمييز.

قال ابن فارس:

"العين والشين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدل على ضعفٍ في البصر، ثم يُحمل عليه، فمن ذلك: العَشَا، وهو ضعف البصر، والعَشَو: أن يقصد الإنسان الشيء على غير بيان."

المصدر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٣٢٢، مادة (عشو).

وقال ابن منظور:

"العَشَا: ضعف البصر، والعَشَو: أن يمضي الإنسان على غير هداية، والعاشي الذي لا يتبين وجهه في سيره."

المصدر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ج١٥، ص٦٦-٦٨، مادة (عشو).

وقال الزبيدي:

"العَشَو: ركوب الأمر على غير بيان، والعاشي الذي يخطئ في سيره."



المصدر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ج ٣٩، ص ٢٣١-٢٣٤، مادة (عشو).

وجاء في المعجم الوسيط:

”العشو: السير على غير هدى، ويقال: عاش في أمره عشوائيًا؛ أي من غير نظام ولا ترتيب.”

المصدر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، ص ٦١٤، مادة (عشو).

ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن الأصل اللغوي للعشوائية يدور حول معاني:

☐ السير بغير هداية.

☐ العمل بغير بصيرة.

☐ التخبط وعدم التثبيت.

☐ غياب النظام والترتيب.

ثانيًا: تعريف العشوائية اصطلاحًا

لم يرد مصطلح العشوائية بصيغته الحديثة في كتب المتقدمين؛ لأنه من المصطلحات الإدارية والاجتماعية المعاصرة، إلا أن معناه مستفاد من الألفاظ الشرعية التي تدل على الفوضى والتخبط وسوء التدبير.



وقد عرفها الباحثون المعاصرون بعدة تعريفات، منها:

١- العشوائية هي:

”القيام بالأعمال أو اتخاذ القرارات من غير تخطيط مسبق، ولا اعتماد على منهج واضح أو قواعد منضبطة.“

٢- وعرفت بأنها:

”سلوك يتسم بالفوضى والارتجال وغياب التنظيم، يؤدي إلى ضعف الكفاءة وإهدار الموارد.“

٣- ويمكن تعريفها في هذا الكتاب بأنها:

العشوائية: هي ممارسة الأعمال أو اتخاذ القرارات أو إدارة شؤون الحياة من غير تخطيط ولا نظام ولا مراعاة للأولويات والضوابط الشرعية والعقلية، بما يؤدي إلى اضطراب النتائج، وإهدار الجهود، وفوات المصالح.

وهذا التعريف يجمع بين الجانب اللغوي والواقعي، ويبرز أن العشوائية ليست مجرد عدم التنظيم، بل هي منهج في التفكير والسلوك يخالف مقاصد الشريعة التي دعت إلى الإلتقان، والترتيب، وحسن التدبير.

الفرق بين العشوائية والمرونة

ينبغي التفريق بين العشوائية والمرونة؛ فالمرونة تعني القدرة على التكيف مع المستجدات مع المحافظة على الأهداف والضوابط، أما العشوائية فهي غياب الخطة والضابط أصلاً، ولذلك فالمرونة من أسباب النجاح، بينما العشوائية من أسباب الفشل.



المبحث الثاني_ الإسلام دين النظام والإتقان

يقوم الإسلام في جميع تشريعاته على النظام والإحكام والإتقان، حتى غدا النظام سمةً بارزةً من سمات هذا الدين العظيم، ومظهرًا من مظاهر كماله وشموله. فليس في الإسلام تشريع قائم على الفوضى، ولا عبادة تؤدي بلا ضوابط، ولا معاملة تُترك للأهواء، بل أحاطت الشريعة جميع شؤون الحياة بأحكام دقيقة، ومواقيت محددة، وضوابط محكمة، تحقق مصالح العباد في دينهم ودنياهم.

والنظام في الإسلام ليس قيمةً إداريةً فحسب، بل هو عبادة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، لأن الالتزام بالنظام هو التزام بأوامر الله، والانضباط في أداء الحقوق والواجبات هو من كمال التقوى والإيمان.

أولاً: النظام من سنن الله في الكون

إن أول ما يلفت النظر أن الكون كله قائم على نظام بالغ الدقة؛ فلا الشمس تتقدم على القمر، ولا الليل يسبق النهار، ولا يختل سير الأفلاك، قال تعالى:

(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [الرحمن: ٥].

وقال سبحانه:

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩].

وقال عز وجل:

(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى  وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) [الأعلى: ٣-٢].

فالكون كله يسير وفق نظام محكم، ومن تأمل هذا الإتقان أدرك أن الفوضى ليست من سنن الله، وإنما هي من آثار تقصير الإنسان وسوء تدبيره.

ثانيًا: النظام في العبادات

تتجلى قيمة النظام في جميع العبادات الإسلامية:

□ الصلاة لا تصح إلا في أوقاتها المحددة، قال تعالى:

(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣].

□ الصيام مرتبط بشهر معين يبدأ وينتهي وفق ضوابط شرعية.

□ الحج له أشهر معلومة ومناسك مرتبة لا يجوز تقديم بعضها على بعض إلا فيما رخصت به الشريعة.

□ الزكاة لها أنصبة محددة، ومقادير معلومة، ومستحقون معينون.

وهذا كله يدل على أن النظام ليس أمرًا ثانويًا، بل هو أساس في أداء شعائر الإسلام.

ثالثًا: النظام في الجماعة

حث الإسلام على النظام حتى في الأعمال اليومية والاجتماعية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«سوا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة».

رواه البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣).



وأمر عليه وسلم بتقديم الإمام، واتباعه، وعدم مخالفته، فقال:

«إنما جعل الإمام ليؤتم به.»

رواه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١٤).

كما أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة فأكثر أن يجعلوا عليهم أميراً، فعن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم.»

رواه أبو داود (٢٦٠٨)، وصححه جماعة من أهل العلم.

فإذا كان الإسلام يقرر التنظيم في سفر ثلاثة أشخاص، فمن باب أولى أن يكون النظام مطلوباً

في شؤون المجتمعات والدول والمؤسسات.

رابعاً: الإسلام دين الإتقان والإحسان

لم يكتف الإسلام بالأمر بالنظام، بل دعا إلى الإتقان، وهو بلوغ العمل غاية الجودة والإحكام.

قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل: ٨٨].

وقال سبحانه:

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) [السجدة: ٧].

وقال النبي ﷺ :

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء.»

رواه مسلم (١٩٥٥).

وروي عنه ﷺ :

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.»

وقد حسن هذا الحديث عدد من أهل العلم، منهم الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ١٢٦)، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١١١٣)، وإن كان في إسناده مقال عند بعض المحدثين.

والإتقان ثمرة النظام، إذ لا يمكن أن يبلغ الإنسان درجة الإحسان في عمله إذا كان يؤديه بعشوائية أو ارتجال أو إهمال.

خامساً: أقوال العلماء في أهمية النظام

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

“الشرعية مبناه على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد.”

المصدر: إعلام الموقعين، دار ابن الجوزي، ١١/٣.

وقال الإمام الماوردي رحمه الله :

“لا ينتظم أمر الدين إلا بسلطان، ولا ينتظم أمر السلطان إلا بالطاعة.”

المصدر: الأحكام السلطانية، دار الحديث، ص ١٥.



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

”أمر الناس لا تستقيم إلا بالاجتماع، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.“

المصدر: مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، ٣٩٠/٢٨.

يتبين من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال أهل العلم، أن النظام والإتقان من المقاصد الأصلية في الشريعة الإسلامية، وأن الإسلام أقام العبادات، ونظم المعاملات، وأدار شؤون المجتمع على أسس من الانضباط والترتيب والإحكام. ومن هنا فإن العشوائية ليست مجرد خلل إداري أو سلوكي، بل هي مخالفة لهدي الإسلام في كثير من مظاهرها، لأنها تناقض قيم الإتقان، وتفضي إلى ضياع الحقوق، وتعطيل المصالح، وإفساد العمران.

المبحث الثالث_ أسباب انتشار العشوائية

إن العشوائية لا تنشأ من فراغ، وإنما هي نتيجة عوامل متداخلة، منها ما هو ديني، ومنها ما هو تربوي أو اجتماعي أو إداري أو اقتصادي. وإذا أُريد علاج هذه الظاهرة فلا بد من تشخيص أسبابها؛ لأن معرفة الداء أول الطريق إلى الدواء، وقد قرر العلماء أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره.

وفيما يأتي أبرز أسباب انتشار العشوائية في حياة الأفراد والمجتمعات:

أولاً: ضعف الوازع الديني

إن من أعظم أسباب العشوائية ضعف مراقبة الله تعالى، وقلة استشعار المسؤولية، فإن المؤمن يعلم أنه محاسب على عمره ووقته وعمله، قال تعالى:

(وَقَفُّهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصفّات: ٢٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع...»

رواه الترمذي (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

فكلما ضعف استحضار المسؤولية، ازداد الإهمال، وانتشرت الفوضى.

ثانياً: الجهل بقيمة النظام والإتقان

يجهل كثير من الناس أن النظام عبادة، وأن الإتقان خلق شرعي قبل أن يكون مهارة إدارية، فيتعاملون مع التنظيم على أنه أمر كمالي يمكن الاستغناء عنه، بينما جاءت الشريعة تؤكد أهمية الانضباط في جميع شؤون الحياة.



ثالثًا: غياب التخطيط

إن كثيرًا من الأعمال تُمارس بردود الأفعال لا وفق خطط مدروسة، فتكثر القرارات المرتجلة، ويضيع الوقت، وتُهدر الطاقات، ويصبح العمل خاضعًا للظروف لا للأهداف.

وقد قيل: "من فشل في التخطيط فقد خطط للفشل." وإن كان هذا من الحكم الإدارية المعاصرة، إلا أن معناه تؤيده مقاصد الشريعة الداعية إلى حسن التدبير.

رابعًا: التربية الأسرية الخاطئة

فالأُسرة التي لا تعود أبناءها على احترام الوقت، وترتيب الأعمال، وتحمل المسؤولية، والالتزام بالمواعيد، تخرج أفرادًا يميلون إلى الفوضى والعشوائية، لأن السلوك يكتسب بالتربية قبل التعليم.

خامسًا: ضعف المؤسسات التعليمية والتربوية

عندما يقتصر التعليم على تلقين المعلومات، ويغفل غرس قيم الانضباط، وإدارة الوقت، والعمل الجماعي، واحترام الأنظمة، فإنه يسهم في تخريج أفراد يملكون المعرفة، لكنهم يفتقرون إلى مهارات التنظيم.

سادسًا: غياب القدوة الحسنة

الناس يتأثرون بالأفعال أكثر من الأقوال، فإذا رأوا الوالد أو المعلم أو المسؤول لا يحترم النظام، ولا يلتزم بالمواعيد، ولا يحسن إدارة عمله، انتقلت إليهم هذه السلوكيات، لأن القدوة العملية من أقوى وسائل التربية.

سابعاً: التسويف وإضاعة الوقت

التسويف من أخطر أسباب العشوائية؛ لأنه يؤخر الأعمال، ويكدر المسؤوليات، ويؤدي إلى إنجازها بصورة مرتجلة وضعيفة.

قال الحسن البصري رحمه الله:

”إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك.“

ثامناً: ضعف الإدارة وسوء القيادة

كل مؤسسة تخلو من التخطيط، والمتابعة، وتحديد المسؤوليات، والمحاسبة، تصبح بيئة خصبة للعشوائية؛ لأن الأعمال لا تنجح بالاجتهاد الفردي وحده، بل تحتاج إلى قيادة واعية وإدارة منضبطة.

تاسعاً: التقليد السلبي للمجتمع

قد تنتشر بعض مظاهر الفوضى حتى تصبح مألوفة، فيقلدها الناس من غير تفكير، سواء في القيادة، أو الأسواق، أو الدوائر، أو المناسبات الاجتماعية، حتى تتحول العشوائية إلى ثقافة عامة يصعب التخلص منها.

عاشراً: ضعف المحاسبة

كلما غابت المحاسبة، وضعفت الرقابة، وتساوى المجتهد والمقصر، انتشرت الفوضى، لأن الإنسان بطبعه يحتاج إلى من يذكره بمسؤوليته ويقوم اعوجاجه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

”حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.“



الحادي عشر: سوء استثمار التقنية

على الرغم من أن وسائل التقنية الحديثة توفر أدوات عظيمة للتنظيم وإدارة الوقت، فإن سوء استخدامها، والانشغال المفرط بوسائل التواصل الاجتماعي، والإدمان على التصفح العشوائي، أصبح من أبرز أسباب تضييع الوقت، وتشتيت الذهن، وتعطيل الإنجاز.

الثاني عشر: غياب الرؤية والأهداف

فالإنسان الذي لا يحدد أهدافه، ولا يعرف أولوياته، يعيش يومه بردود الأفعال، فينتقل من عمل إلى آخر دون ترتيب أو إنجاز حقيقي، فتغلب عليه العشوائية في قراراته وسلوكه.

يتبين مما سبق أن العشوائية ليست سبباً واحداً، بل هي حصيلة عوامل دينية وتربوية وفكرية وإدارية واجتماعية متشابكة، وأن القضاء عليها لا يتحقق بالأنظمة والعقوبات وحدها، بل يحتاج إلى بناء الإنسان بناءً إيمانياً وتربوياً، وغرس ثقافة النظام والإتقان، وتعزيز التخطيط، واحترام الوقت، وتفعيل القدوة الصالحة، وترسيخ مبدأ المسؤولية والمحاسبة. وإذا عولجت هذه الأسباب من جذورها، أمكن للمجتمع أن ينتقل من الفوضى إلى النظام، ومن الارتجال إلى الإتقان، ومن العشوائية إلى الحضارة.

المبحث الرابع_ كيف نعالج العشوائية؟

إذا كانت العشوائية من أبرز أسباب ضياع الطاقات، وتعطيل المصالح، وتأخر الأفراد والأمم، فإن معالجتها ليست خياراً ثانوياً، بل ضرورة شرعية وحضارية؛ لأن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح، ودفع المفسد، وإقامة الحياة على النظام والإتقان. ولا يمكن القضاء على العشوائية إلا بمعالجة أسبابها، وغرس ثقافة النظام في النفوس، حتى تتحول من مجرد تعليمات إلى سلوك دائم ومنهج حياة.

وفيما يأتي أهم الوسائل التي تسهم في علاج العشوائية:

أولاً: ترسيخ الإيمان واستشعار المسؤولية

إن أعظم علاج للعشوائية هو بناء الضمير الإيماني، فالمؤمن يعلم أنه مسؤول عن وقته وعمله وأمانته، قال تعالى:

(وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصفات: ٢٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.»

رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

فاستشعار المسؤولية يدفع المسلم إلى الانضباط، والإتقان، والبعد عن الفوضى والإهمال.

ثانياً: نشر ثقافة النظام والإتقان

ينبغي أن تُغرس قيمة النظام في الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والجامعة، ووسائل الإعلام، حتى تصبح ثقافة مجتمعية، لا مجرد تعليمات مؤقتة.



قال تعالى :

(صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل : ٨٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء.»

رواه مسلم (١٩٥٥).

ثالثًا: التخطيط وحسن ترتيب الأولويات

فالتخطيط من أهم وسائل النجاح، إذ يحدد الأهداف، ويرتب الأولويات، ويمنع الارتجال، ويقلل من الأخطاء.

وقد أرشد القرآن إلى النظر في العواقب والاستعداد للمستقبل، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

رابعًا: تعظيم قيمة الوقت

الوقت هو رأس مال الإنسان، وإضاعته من أعظم أسباب العشوائية.

قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر: ١-٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.»

رواه البخاري (٦٤١٢).

فإدارة الوقت وحسن استثماره من أهم وسائل التخلص من الفوضى.

خامساً: التربية على الانضباط منذ الصغر

تبدأ صناعة الإنسان المنظم من الأسرة، وذلك بتعويد الأبناء على:

☐ احترام الوقت.

☐ ترتيب الأعمال.

☐ الالتزام بالمواعيد.

☐ تحمل المسؤولية.

☐ المحافظة على الممتلكات.

☐ احترام الأنظمة.

فالسلوك المنظم يكتسب بالممارسة والتدريب.

سادساً: وجود القدوة الحسنة

فالقدوة العملية من أنجح وسائل الإصلاح، فإذا رأى الناس العلماء، والآباء، والمعلمين،

والمسؤولين يلتزمون بالنظام، انعكس ذلك على سلوك المجتمع كله.

وكان النبي ﷺ أعظم قدوة في الانضباط، فكان يقسم وقته، ويرتب أعماله، ويضع كل

أمر في موضعه.



سابعاً: تفعيل مبدأ المحاسبة

لا يستقيم نظام بلا متابعة، ولا يستمر نجاح بلا محاسبة، ولذلك كان الإسلام يحث على محاسبة النفس.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

”حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.“

كما أن المؤسسات التي تعتمد على المتابعة والتقييم تقل فيها مظاهر الفوضى، ويزداد فيها الانضباط والإنتاج.

ثامناً: الاستفادة من الوسائل الحديثة

من وسائل علاج العشوائية استخدام الوسائل المعاصرة التي تساعد على التنظيم، مثل:

☐ إعداد الخطط السنوية والشهرية.

☐ كتابة الأهداف.

☐ استخدام الجداول الزمنية.

☐ تدوين المواعيد والمهام.

☐ الاستفادة من التطبيقات الرقمية الخاصة بإدارة الوقت.

فالتقنية إذا أحسن استخدامها أصبحت وسيلة للإتقان لا سبباً للتشتت.

تاسعاً: احترام الأنظمة العامة

إن الالتزام بالأنظمة التي تحقق المصلحة العامة - ما دامت لا تخالف الشريعة - من القيم الإسلامية، لأن فيها حفظاً للحقوق، وصيانةً للمجتمع، وتحقيقاً لمقاصد الشرع في حفظ الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض.

عاشراً: الدعاء والاستعانة بالله

فالنجاح في تنظيم الحياة، وحسن إدارة الأعمال، يحتاج إلى توفيق الله تعالى، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء والاستعانة بربه في جميع أموره.

قال تعالى:

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) [هود: ٨٨].

إن علاج العشوائية لا يتحقق بمجرد إصدار الأنظمة أو وضع التعليمات، وإنما يبدأ بإصلاح الإنسان، وبناء وعيه، وتعميق شعوره بالمسؤولية، وربطه بقيم الإسلام التي تدعو إلى النظام والإتقان والإحسان. فإذا اجتمع الإيمان الصادق، والتربية الصحيحة، والتخطيط الواعي، والإدارة الرشيدة، والقُدوة الحسنة، والمحاسبة العادلة، تحولت العشوائية إلى انضباط، والفوضى إلى نظام، والارتجال إلى إتقان، وتهيأت الأمة لأداء رسالتها الحضارية على الوجه الذي يرضي الله تعالى ويحقق مصالح العباد.



المبحث الخامس_ ثمرات النظام والإتقان في الدنيا والآخرة

جعل الله تعالى لكل عمل صالح ثمرة، ولكل خلق كريم أثراً، ومن أعظم الأخلاق التي تعود على الفرد والمجتمع بالخير خلق النظام والإتقان. فهما من أسباب نجاح الأمم، وازدهار الحضارات، واستقامة الأحوال، كما أنهما من القربات التي يثاب عليها المسلم إذا قصد بها وجه الله تعالى. ولذلك فإن ثمار النظام لا تقتصر على الدنيا، بل تمتد إلى الآخرة، حيث يلقي المؤمن جزاء إحصانه وإتقانه عند ربه.

أولاً: نيل محبة الله تعالى

إن من أعظم ثمرات الإتقان أن ينال العبد محبة الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.»

وقد حسنه جماعة من أهل العلم، منهم السخاوي والألباني.

كما قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥].

والإتقان من أعظم صور الإحسان.

ثانياً: الفوز برضا الله وحسن الجزاء في الآخرة

المسلم المنظم يؤدي العبادات في أوقاتها، ويحفظ الأمانات، ويؤدي الحقوق، فيرجو بذلك رضا الله وثوابه.

قال تعالى:

(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف: ٣٠].

وقال سبحانه :

(لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [المالك : ٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

”أخلصه وأصوبه ؛ فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل.“

ثالثاً: النجاح في الحياة وتحقيق الأهداف

فالنظام يحول الطاقات المتفرقة إلى إنجازات متتابعة ، ويجعل الإنسان يسير وفق خطة واضحة ، فيقترب من أهدافه بثبات ، بخلاف العشوائية التي تستهلك الجهد دون نتائج تذكر.

قال تعالى :

(وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) [النجم : ٣٩].

رابعاً: حفظ الوقت واستثماره

الوقت هو رأس مال الإنسان ، والنظام يعين على استثماره فيما ينفع ، ويمنع ضياعه في الفوضى والتسويق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ.»

رواه البخاري (٦٤١٢).



خامساً: زيادة الإنتاج والإبداع

الإنسان المنظم أكثر قدرة على الإنجاز، وأقل عرضة للأخطاء، وأحسن استثماراً للموارد، ولذلك فإن المؤسسات التي يسودها النظام تحقق إنتاجاً أعلى وجودة أفضل.

سادساً: نشر الطمأنينة والاستقرار

النظام يحقق الأمن النفسي والاجتماعي، ويمنع الفوضى والنزاعات، ويحفظ الحقوق، ويجعل الناس يثقون بالمؤسسات والأنظمة.

ولهذا كانت الشريعة قائمة على حفظ النظام في العبادات والمعاملات والقضاء وسائر شؤون الحياة.

سابعاً: قوة الأمة ونهضتها

لم تنهض أمة عبر التاريخ بالفوضى، وإنما نهضت بالعلم، والعمل، والانضباط، والإدارة الرشيدة، والإتقان.

قال تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال: ٦٠].

ولا يتحقق الإعداد الحقيقي إلا بالنظام والتخطيط.

ثامناً: حفظ الحقوق ومنع الظلم

كلما انتشر النظام، حُفِظَت الحقوق، وأُديت الأمانات، وسهل الوصول إلى العدل، وقلّ التعدي على الآخرين.

قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) [النساء: ٥٨].

تاسعاً: بناء الشخصية المسلمة

النظام يغرس في المسلم صفات عظيمة ، منها :

☐ تحمل المسؤولية.

☐ احترام الوقت.

☐ الوفاء بالمواعيد.

☐ الانضباط.

☐ الصبر.

☐ حسن التدبير.

☐ الإحساس بالواجب.

وهذه الصفات هي أساس الشخصية المؤمنة النافعة لنفسها ولمجتمعها.

عاشراً: حسن الخاتمة وكمال الأجر

من عاش حياته على الطاعة والانضباط والإتقان ، كان أقرب إلى الثبات عند الممات ، ورجا

رحمة الله وجزيل ثوابه.

قال تعالى :

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ٧-٨].



فكل عمل متقن يبتغي به العبد وجه الله هو رصيد له في ميزان حسناته.

إن النظام والإتقان ليسا مجرد وسائل لتنظيم الحياة، بل هما من القيم الإسلامية الكبرى التي تحقق سعادة الإنسان في الدنيا وفوزه في الآخرة. فبهما تُحفظ الأوقات، وتُصان الحقوق، وتُبنى المؤسسات، وتنهض الأمم، ويزداد الإنتاج، وتستقيم الحياة. وإذا اقترن النظام بالإخلاص لله تعالى صار عبادة يؤجر عليها صاحبها، وجمع بين خيرَي الدنيا والآخرة، مصداقاً لقوله سبحانه:

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧].

المبحث السادس_ وصايا عملية للابتعاد عن العشوائية

إن الانتقال من العشوائية إلى النظام لا يتحقق بالأمنيات، ولا بمجرد معرفة أضرار الفوضى، وإنما يحتاج إلى خطوات عملية، ومجاهدة للنفس، واستمرار في التدريب حتى يصبح النظام خُلُقًا راسخًا وعادةً ملازمة. وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتوجيهات التي تعين المسلم على ضبط حياته، وحسن استثمار وقته، وإتقان عمله، وتحمل مسؤولياته.

وفيما يأتي جملة من الوصايا العملية التي تعين على ذلك:

الوصية الأولى: صحح نيتك واجعل النظام عبادة

استحضر أن تنظيم حياتك وإتقان عملك من طاعة الله تعالى، وأنتك تؤجر على ذلك إذا قصدت به أداء الأمانة وخدمة الناس وإرضاء الله.

قال تعالى:

(قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢].

الوصية الثانية: ابدأ يومك بخطة واضحة

لا تبدأ يومك دون معرفة ما تريد إنجازه، بل اكتب أهم الأعمال ورتبها بحسب الأولوية، حتى لا تستهلك وقتك في أمور ثانوية.

الوصية الثالثة: قدم الأهم فالمهم

لا تنشغل بصغائر الأمور وتترك عظامها، فإن من أسباب العشوائية اختلال الأولويات.

قال تعالى:

(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) [البقرة: ١٤٨].



الوصية الرابعة: احترم الوقت

اجعل لكل عمل وقتًا، ولكل واجب موعدًا، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد من غير عذر.

قال النبي ﷺ:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفرغ.»

رواه البخاري.

الوصية الخامسة: تجنب التسويف

التسويف باب للفشل، والإنجاز يبدأ بخطوة، فابدأ بالأعمال المهمة فورًا، ولا تنتظر الظروف المثالية.

الوصية السادسة: أنجز عملًا واحدًا بإتقان

لا تشتت نفسك بين أعمال كثيرة، بل ركز على مهمة واحدة حتى تتمها بإحكام، فإن كثرة التنقل بين الأعمال من أسباب ضعف الإنجاز.

الوصية السابعة: حافظ على النظام في محيطك

ترتيب المكتب، والمنزل، والملفات، والكتب، والوثائق، ينعكس على صفاء الذهن وسرعة الإنجاز.

الوصية الثامنة: التزم بالمواعيد

احترام المواعيد من أخلاق المؤمن، وهو دليل على الانضباط وحسن الخلق، كما أنه من أسباب كسب ثقة الناس.

الوصية التاسعة: راقب نفسك يوميًا

خصص دقائق في نهاية كل يوم لتراجع أعمالك، وتسأل نفسك:

☐ ماذا أنجزت؟

☐ ما الذي قصرت فيه؟

☐ كيف أكون أفضل غدًا؟

وهذا من محاسبة النفس التي حث عليها السلف.

الوصية العاشرة: أحسن استثمار التقنية

اجعل التقنية وسيلة للتنظيم لا سببًا للفوضى، واستخدم التطبيقات التي تساعد على إدارة الوقت، وقلل من الاستخدام غير الضروري لوسائل التواصل الاجتماعي.

الوصية الحادية عشرة: اختر البيئة المنظمة

فالساحب المنظم يعين على النظام، والبيئة المنضبطة تغرس الانضباط، أما الفوضى فتنتقل بالعدوى.

قال تعالى:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) [الكهف: ٢٨].

الوصية الثانية عشرة: لا تترك التعلم والتطوير

اقرأ في فنون التخطيط، وإدارة الوقت، والإنتاجية، واستفد من تجارب الناجحين، فإن الحكمة ضالة المؤمن.



الوصية الثالثة عشرة: أكثر من الدعاء والاستعانة بالله

فلا توفيق إلا بالله، ومن أعظم أسباب النجاح سؤال الله العون والثبات.

قال تعالى:

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) [هود: ٨٨].

إن النظام ليس صفة يولد بها الإنسان، وإنما مهارة تُكتسب، وعادة تُمارس، وخلقٌ يترسخ بالمجاهدة والاستمرار. وكل خطوة يخطوها المسلم نحو الانضباط والإتقان تقربه من النجاح في دنياه، ومن رضا ربه في آخرته. وإذا تحولت هذه الوصايا إلى سلوك يومي، انتقل الإنسان من الفوضى إلى النظام، ومن الارتجال إلى التخطيط، ومن العشوائية إلى الإحسان، وأصبح عنصر بناء وإصلاح في أسرته ومجتمعه وأمته.

وقد أحسن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أوصى فقال:

”حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.”

فمحاسبة النفس، مع حسن التخطيط، واستحضار مراقبة الله، هي الطريق الأمثل لبناء شخصية منظمة متقنة، تحقق قول الله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥].

الفصل الثاني _ صور العشوائية في حياة الناس

المبحث الأول

العشوائية في العبادة

العبادة هي الغاية التي خُلق الإنسان من أجلها، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]. وقد شرع الله تعالى العبادات على أكمل نظام وأدق ترتيب، فجعل لكل عبادة وقتاً، وهيئةً، وشروطاً، وأركاناً، وآداباً، حتى يؤديها المسلم على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

ومن هنا فإن العشوائية في العبادة من أخطر صور العشوائية؛ لأنها تمس علاقة العبد بربه، وتؤدي إلى ضعف الإيمان، وقلة الخشوع، والتفريط في الفرائض، وحرمان العبد من بركات الطاعة.

أولاً: التهاون بالصلاة وتأخيرها عن وقتها

من أبرز مظاهر العشوائية أن يؤدي المسلم الصلاة دون انتظام، فيؤخرها عن وقتها، أو يجمعها بلا عذر، أو يترك الجماعة تكاسلاً، مع أن الله تعالى جعل للصلاة أوقاتاً محددة.

قال تعالى:

(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣].

وقال سبحانه:

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) [الماعون: ٤-٥].



والصلاة المنتظمة تربى المسلم على الانضباط، واحترام الوقت، والالتزام بالنظام خمس مرات في اليوم والليلة.

ثانيًا: عدم المحافظة على الأذكار والأوراد

شرع الله تعالى أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، والاستيقاظ، والطعام، والسفر، وغيرها، لتبقى صلة العبد بربه متجددة.

قال تعالى:

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: ١٥٢].

وقال سبحانه:

(وَالَّذِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٣٥].

فلانقطاع عن الأذكار أو المواظبة عليها بحسب المزاج صورة من صور العشوائية التي تحرم القلب من الطمأنينة والسكينة.

ثالثًا: أداء العبادات بلا انتظام

فمن الناس من يجتهد في الطاعة أيامًا ثم يتركها أشهرًا، أو يكثر من النوافل في موسم ثم ينقطع عنها كلية، بينما أحب الأعمال إلى الله ما دام واستمر.

قال النبي ﷺ:

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.»

رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

فلا استمرار والانضباط أحب إلى الله من الحماس المؤقت الذي يعقبه الانقطاع.

رابعاً: العشوائية في قراءة القرآن

فمن الناس من يقرأ القرآن في رمضان فقط، أو عند المناسبات، دون برنامج يومي أو ورد ثابت، مع أن القرآن غذاء القلوب، وهداية للمؤمنين.

قال تعالى:

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩].

وكان السلف يجعلون لأنفسهم ورداً يومياً لا يتركونه مهما كانت الظروف.

خامساً: التهاون في تعلم أحكام العبادة

قد يؤدي بعض الناس عباداتهم بغير علم، فيقعون في الأخطاء والبدع والتقصير، بسبب إهمال تعلم ما يجب عليهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

فطلب العلم الشرعي من أهم أسباب صحة العبادة وإتقانها.

سادساً: الموسمية في الطاعة

ومن مظاهر العشوائية أن يكثر المسلم من الطاعات في موسم معين، كشهر رمضان، ثم يترك كثيراً منها بعد انتهائه، وكأن العبادة مرتبطة بالمواسم لا بحياة المسلم كلها.



قال تعالى :

(وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩].

سابعًا: الإخلال بآداب العبادات

كالتأخر عن صلاة الجمعة ، وعدم تسوية الصفوف ، والانشغال بالهاتف أثناء انتظار الصلاة ، أو الاستعجال في أداء العبادة دون خشوع أو طمأنينة ، وكل ذلك ينافي مقصود العبادة الذي شرعه الله.

آثار العشوائية في العبادة

إن للعشوائية في العبادة آثارًا خطيرة، منها:

- ☐ ضعف الصلة بالله تعالى.
- ☐ قسوة القلب وقلة الخشوع.
- ☐ التهاون في الفرائض.
- ☐ حرمان العبد من بركة الطاعة.
- ☐ ضعف الاستقامة على الدين.
- ☐ اضطراب السلوك والأخلاق ؛ لأن العبادة هي مصدر تزكية النفس.

علاج العشوائية في العبادة

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال :

١. المحافظة على الصلوات في أوقاتها.
٢. وضع برنامج يومي للقرآن والأذكار.
٣. المواظبة على النوافل ولو كانت قليلة.
٤. تعلم أحكام العبادات من مصادرها الموثوقة.
٥. صحبة الصالحين الذين يعينون على الثبات.
٦. محاسبة النفس عند التقصير.
٧. الإكثار من الدعاء بطلب الثبات ، امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم :

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

رواه الترمذي (٢١٤٠).

إن العبادة في الإسلام قائمة على النظام والاستمرار، لا على الفوضى والانقطاع، ولذلك كانت العشوائية في العبادة من أخطر صور العشوائية؛ لأنها تفسد علاقة العبد بربه، وتحرمه من لذة الطاعة وثمراتها. وكلما ازداد المسلم انتظاماً في عبادته، كان أقرب إلى التقوى، وأثبت على الاستقامة، وأعظم بركةً في دينه ودنياه.



المبحث الثاني

العشوائية في الوقت

يُعد الوقت من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، وهو رأس ماله الحقيقي، وميدان عمله، ومزرعة آخرته. وإذا كان المال المفقود يمكن تعويضه، فإن الوقت إذا مضى لا يمكن أن يعود، ولذلك أقسم الله تعالى به في مواضع متعددة من كتابه، تنبيهًا إلى عظيم منزلته، فقال سبحانه :

(وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر: ١-٢].

ومن أعظم صور العشوائية في حياة الناس سوء إدارة الوقت، وإضاعته في غير فائدة، والانشغال بالتوفاه، وتأجيل الأعمال حتى تتراكم المسؤوليات وتضيع المصالح.

أولاً: إضاعة الساعات فيما لا ينفع

من أخطر مظاهر العشوائية أن يقضي الإنسان ساعات طويلة في اللهو، أو متابعة وسائل التواصل الاجتماعي، أو مشاهدة ما لا يعود عليه بدين ولا دنيا، حتى تمر الأيام دون إنجاز حقيقي.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.»

رواه البخاري (٦٤١٢).

وقال عليه وسلم: «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه.»

رواه الترمذي (٢٣١٧)، وحسنه.

فالوقت أمانة، وسيُسأل الإنسان عنه يوم القيامة.

ثانيًا: تأجيل الأعمال دون عذر (التسويق)

التسويق من أكثر أسباب الفشل انتشارًا، وهو أن يؤخر الإنسان عمل اليوم إلى الغد من غير سبب معتبر، حتى تتراكم الواجبات، ويضعف الإنجاز، ويزداد التوتر.

قال الحسن البصري رحمه الله:

”إياك والتسويق، فإنك بيومك ولست بغدك.“

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

”ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدّر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة.“

المصدر: صيد الخاطر.

ثالثًا: غياب التخطيط اليومي

كثير من الناس يبدأ يومه دون هدف أو برنامج، فينتقل من عمل إلى آخر بلا ترتيب، ويستجيب لكل طارئ، فينتهي يومه دون إنجاز يذكر.

والتخطيط لا ينافي التوكل، بل هو من الأخذ بالأسباب التي أمر الله بها.



قال تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

رابعاً: الانشغال بالأعمال الثانوية وترك الأولويات

من العشوائية أن يستهلك الإنسان جهده في أمور يسيرة، ويؤخر الواجبات والأعمال المهمة، فيختل ترتيب الأولويات، ويضيع المقصود.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى اغتنام الفرص قبل فواتها فقال:

«اغتنم خمساً قبل خمس...»

رواه الحاكم، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

خامساً: كثرة المقاطعات وتشتيت الذهن

الانتقال المستمر بين الهاتف، ورسائل التواصل، والأعمال المختلفة، دون تركيز، يؤدي إلى ضعف الإنتاج، وكثرة الأخطاء، وإهدار ساعات طويلة دون ثمرة.

ولهذا كان السلف يحرصون على حفظ أوقاتهم، ويعدون تضييعها من أعظم الخسائر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

“إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة.” المصدر: الفوائد.



آثار العشوائية في الوقت

تترتب على سوء إدارة الوقت آثار كثيرة، منها:

☐ ضياع العمر فيما لا ينفع.

☐ ضعف الإنجاز والإنتاج.

☐ التوتر والقلق بسبب تراكم الأعمال.

☐ التفريط في الواجبات الدينية والأسرية.

☐ ضياع الفرص العلمية والعملية.

☐ الشعور الدائم بالفشل وعدم الرضا.

علاج العشوائية في الوقت يمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. استشعار قيمة الوقت وأنه نعمة ومسؤولية.
٢. وضع خطة يومية وأسبوعية واضحة.
٣. ترتيب الأولويات، والبدء بالأهم فالمهم.
٤. تجنب التسويف، وإنجاز الأعمال في وقتها.
٥. تقليل استخدام وسائل التواصل فيما لا فائدة فيه.
٦. تخصيص أوقات ثابتة للعبادة، والعلم، والعمل، والراحة.
٧. محاسبة النفس في نهاية كل يوم على كيفية استثمار الوقت.



المبحث الثالث

العشوائية في استغلال المواسم الشرعية

من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لهم مواسم للطاعات، تتضاعف فيها الحسنات، وترتفع فيها الدرجات، وتنزل فيها الرحمات، لتكون محطات إيمانية يتزود منها المؤمن، ويجدد بها إيمانه، ويستدرك ما فاتته من تقصير. ومن هذه المواسم: شهر رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم الجمعة، وليلة القدر، ويوم عرفة، وعاشوراء، وغيرها.

غير أن كثيرًا من الناس يتعاملون مع هذه المواسم بعشوائية ظاهرة؛ فيغفلون عنها، أو يستغلونها استغلالًا جزئيًا، أو يضيعون أيامها ولياليها فيما لا ينفع، فيفوتهم خير كثير وأجور عظيمة.

أولًا: التفريط في شهر رمضان

شهر رمضان موسم عظيم للطاعة، قال تعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.»

رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

ومن صور العشوائية في رمضان:

□ الانشغال بالطعام والشراب والأسواق أكثر من العبادة.

- ☐ السهر على اللهو وإضاعة صلاة الفجر.
- ☐ هجر القرآن أو الاكتفاء بتلاوة متقطعة.
- ☐ ترك صلاة التراويح أو الانصراف عنها بلا عذر.
- ☐ الاجتهاد في أول الشهر ثم الفتور في آخره، مع أن العشر الأواخر هي أفضل لياليه.

ثانيًا: التفريط في العشر الأوائل من ذي الحجة

قال تعالى:

(وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ) [الفجر: ١-٢].

وقال النبي ﷺ:

«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام.»

رواه البخاري (٩٦٩).

ومع عظيم فضلها، يغفل عنها كثير من المسلمين، فلا يكثر فيها من الذكر، ولا الصيام، ولا الصدقة، ولا تلاوة القرآن، ولا سائر أعمال البر، حتى تمر هذه الأيام المباركة دون اغتنام.

ثالثًا: التفريط في يوم الجمعة

يوم الجمعة سيد الأيام، اختصه الله تعالى بفضائل عظيمة.



قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) [الجمعة: ٩].

وقال النبي ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة.»

رواه مسلم (٨٥٤).

ومن صور العشوائية فيه :

- ☐ التأخر عن صلاة الجمعة دون عذر.
- ☐ الانشغال بالحديث أو الهاتف أثناء الخطبة.
- ☐ ترك الاغتسال والتبكير إلى المسجد.
- ☐ إهمال قراءة سورة الكهف.
- ☐ قلة الصلاة على النبي ﷺ.
- ☐ الغفلة عن ساعة الإجابة وعدم تحريها بالدعاء.

رابعاً: التفريط في ليلة القدر

ليلة القدر خير من ألف شهر، قال تعالى :

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر: ٣].

ومع ذلك يفرط بعض الناس في تحريها، أو ينشغلون عنها باللهو والنوم، بينما كان النبي

ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر: «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مثزره.»

رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

خامساً: التفريط في يوم عرفة وعاشوراء

شرع الله تعالى في يوم عرفة لغير الحاج الصيام، وجعل فيه فضلاً عظيماً، فقال النبي

صلى الله
عليه وسلم :

«صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده.»

رواه مسلم (١١٦٢).

وكذلك صيام عاشوراء، قال صلى الله عليه وسلم :

«أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله.»

رواه مسلم (١١٦٢).

ومع وضوح فضلهما، يمر هذان اليومان على بعض المسلمين دون اهتمام أو اغتنام.

آثار العشوائية في استغلال المواسم

ينتج عن التفريط في المواسم الشرعية آثار عديدة، منها:

- ☐ فوات الأجور العظيمة.
- ☐ ضعف الإيمان وقلة الزاد الروحي.
- ☐ الاعتياد على التسويف في الطاعات.
- ☐ الحرمان من مغفرة الذنوب ورفع الدرجات.
- ☐ ضعف صلة العبد بربه.



علاج العشوائية في استغلال المواسم

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. تعلم فضائل المواسم الشرعية وأحكامها.
٢. الاستعداد لها قبل دخولها بخطة إيمانية واضحة.
٣. وضع برنامج يومي للطاعات يتناسب مع كل موسم.
٤. اغتنام الفرص وعدم تأجيل الأعمال الصالحة.
٥. تربية الأبناء على تعظيم هذه المواسم.
٦. تذكير الأسرة والمجتمع بفضائلها عبر الخطب والدروس ووسائل الإعلام.

إن المواسم الشرعية من أعظم المنح الربانية التي يفتح الله بها أبواب رحمته لعباده، والعاقل هو الذي يغتنمها قبل فواتها، ويستثمرها في زيادة الإيمان وصالح الأعمال. أما العشوائية في التعامل معها فتؤدي إلى ضياع فرص قد لا تتكرر، ولذلك كان السلف الصالح يستعدون لهذه المواسم قبل حلولها، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، رجاء رحمة الله ومغفرته، وامتنالاً لقوله تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) [البقرة: ١٤٨].

المبحث الرابع

العشوائية في تربية النفس

تربية النفس من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي أساس صلاح الإنسان واستقامته، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [الشمس: ٩-١٠].

والنفس لا تستقيم بمجرد الأمنيات، وإنما تحتاج إلى تربية مستمرة، ومحاسبة دائمة، ومجاهدة صادقة، ومراجعة متكررة للأخطاء. ومن أخطر صور العشوائية أن يعيش الإنسان بلا برنامج لإصلاح نفسه، فلا يحاسبها، ولا يقف مع تقصيره، ولا يسعى لتزكيتها، فيبقى أسير عاداته وأخطائه.

أولاً: عدم محاسبة النفس

من أبرز مظاهر العشوائية في تربية النفس أن يمضي الإنسان في حياته دون أن يراجع أعماله، أو يقف مع أخطائه، أو يقوم سلوكه، مع أن المؤمن مأمور بمحاسبة نفسه قبل أن يحاسبه الله.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

”حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتأهبوا للعرض الأكبر.“

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول:

”لا يزال المؤمن بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته.“



ثانيًا: تكرار الأخطاء دون مراجعة

من علامات العشوائية أن يقع الإنسان في الخطأ نفسه مرارًا، دون أن يسأل عن أسبابه أو يبحث عن علاجه، فيتكرر التقصير، ويصبح عادة يصعب التخلص منها.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١].

فالتغيير يبدأ من النفس، ومن الاعتراف بالتقصير، ثم السعي إلى الإصلاح.

ثالثًا: غياب الأهداف الإيمانية والتربوية

كثير من الناس يضع أهدافًا مالية أو وظيفية، لكنه لا يضع أهدافًا لإصلاح قلبه وعبادته وأخلاقه، فلا يحدد ما يريد أن يتعلمه، أو يحفظه، أو يتخلص منه من الصفات المذمومة، فيعيش بلا خطة تربوية واضحة.

رابعًا: إهمال تزكية القلب

تزكية القلب أصل صلاح الجوارح، فإذا أهمل الإنسان قلبه، استولت عليه أمراض الكبر، والرياء، والحسد، والعجب، والغفلة.

قال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: ٨٨-٨٩].

خامسًا: ضعف المجاهدة والصبر على الإصلاح

إصلاح النفس يحتاج إلى صبر ومثابرة، أما الاستسلام للشهوات والكسل واليأس فهو من صور العشوائية.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩].

سادساً: التأثير بالبيئة دون تمييز

قد ينساق الإنسان خلف العادات أو رفقة السوء دون أن يزنها بميزان الشرع، فيتشكل سلوكه تبعاً للواقع لا تبعاً للحق.

قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل.»

رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه.

آثار العشوائية في تربية النفس

ينتج عن هذه العشوائية آثار كثيرة، منها:

- ☐ ضعف الإيمان وقسوة القلب.
- ☐ تكرار الذنوب والتقصير.
- ☐ البطء في التوبة والإصلاح.
- ☐ اضطراب السلوك والأخلاق.
- ☐ ضياع فرص الترقى في مدارج الإيمان والإحسان.
- ☐ ضعف الشخصية أمام الشهوات والشبهات.

علاج العشوائية في تربية النفس

يمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. تخصيص وقت يومي لمحاسبة النفس.

٢. الإكثار من التوبة والاستغفار.



٣. وضع أهداف إيمانية وعلمية وسلوكية واضحة.
٤. قراءة القرآن بتدبر، وجعل ورد ثابت لا يترك.
٥. مصاحبة الصالحين وأهل الهمة.
٦. تدوين الأخطاء والعمل على علاجها تدريجياً.
٧. الإكثار من الدعاء، ومنه دعاء النبي ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»
رواه مسلم (٢٧٢٢).

إن تربية النفس ليست عملاً موسميًا، بل مشروع عمر، يحتاج إلى متابعة دائمة ومراجعة مستمرة. ومحاسبة النفس من أعظم وسائل إصلاحها، ولذلك كان السلف الصالح يجعلون لأنفسهم أوقاتًا يراجعون فيها أعمالهم، ويحاسبون قلوبهم، ويستدركون تقصيرهم. فإذا انتظمت محاسبة النفس، واستقامت المجاهدة، وزكت السريرة، انعكس ذلك على جميع جوانب حياة الإنسان، فكان أكثر انضباطاً، وأحسن خلقاً، وأقرب إلى رضا الله تعالى.

المبحث الخامس

العشوائية في الزواج

الزواج في الإسلام ليس علاقةً عابرة، ولا قرارًا مؤقتًا، وإنما هو ميثاق غليظ، وأساس بناء الأسرة، ولبنة المجتمع الأولى. ولذلك أحاطته الشريعة بأحكام دقيقة، وضوابط حكيمة، تضمن حسن الاختيار، ودوام الألفة، واستقرار الحياة الزوجية.

ومن أخطر صور العشوائية أن يُبنى الزواج على معايير سطحية، أو قرارات متسريعة، أو عواطف مؤقتة، دون النظر إلى الدين، والخلق، والكفاءة، والتوافق، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الخلافات، والتفكك الأسري، وارتفاع نسب الطلاق.

أولاً: الاختيار بناءً على المال أو الجمال فقط

من أبرز مظاهر العشوائية أن يكون المعيار الأول في اختيار الزوج أو الزوجة هو المال، أو الجمال، أو المكانة الاجتماعية، مع إهمال الدين والخلق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.»

رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.»

رواه الترمذي (١٠٨٤)، وحسنه جمع من أهل العلم.



فلم يمنع الإسلام مراعاة الجمال أو المال، ولكنه جعل الدين والخلق الأساس الذي تُبنى عليه الحياة الزوجية.

ثانيًا: الاستعجال في اتخاذ قرار الزواج

قد يُقدم بعض الشباب أو أولياء الأمور على الزواج دون سؤال كافٍ عن الطرف الآخر، أو دون دراسةٍ لمدى التوافق بين الزوجين، اعتمادًا على الانطباع الأول أو العاطفة المجردة، وهذا من صور العشوائية التي قد تكون سببًا في فشل الحياة الزوجية.

وقد شرع الإسلام الاستخارة، والاستشارة، والسؤال عن حال الخاطب أو المخطوبة، تحقيقًا لحسن الاختيار.

ثالثًا: إهمال الكفاءة والتوافق

من مقاصد الزواج تحقيق السكن والمودة والرحمة، وهذا يحتاج إلى قدر من التوافق في الدين، والأخلاق، والفكر، والقدرة على تحمل المسؤولية.

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: ٢١].

فإهمال هذه الجوانب يؤدي إلى اضطراب الحياة الزوجية، مهما توفرت المظاهر المادية.

رابعًا: المغالاة في المهور وتكاليف الزواج

من صور العشوائية تحويل الزواج إلى مشروع مالي مرهق، بالمغالاة في المهور، والإسراف في الحفلات، والتكلف في الكماليات، حتى يصبح الزواج عسيرًا على كثير من الشباب.

قال النبي ﷺ: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة.» رواه أحمد، وصححه عدد من أهل العلم.

فكلما كان الزواج أقرب إلى التيسير، كان أرجى للبركة والاستقرار.

خامساً: إهمال التأهيل للحياة الزوجية

يدخل بعض الأزواج الحياة الزوجية دون معرفة بحقوق الزوجين وواجباتهما، أو بمهارات الحوار وحل المشكلات، مما يجعل أول خلاف سبباً في اضطراب الأسرة.

قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء: ١٩].

والمعاشرة بالمعروف تحتاج إلى علم، وحكمة، وصبر، وحسن خلق.

سادساً: تدخل الآخرين في الاختيار دون ضوابط

قد يفرض بعض الأولياء أو الأقارب رأيهم على الشاب أو الفتاة، أو يمنعون الزواج لأسباب لا يقرها الشرع، أو يوجهون الاختيار بناءً على اعتبارات قبلية أو مادية بحتة، مما يوقع الأسرة في مشكلات كثيرة.

والإسلام جعل رضا الطرفين، مع مراعاة الضوابط الشرعية، من أسس عقد الزواج الصحيح.

آثار العشوائية في الزواج

ينتج عن العشوائية في اختيار شريك الحياة آثار خطيرة، منها:

☐ كثرة الخلافات الزوجية.

☐ ضعف المودة والرحمة بين الزوجين.



☐ ارتفاع نسب الطلاق والانفصال.

☐ اضطراب تربية الأبناء.

☐ تفكك الأسرة وآثاره السلبية على المجتمع.

☐ ضياع الحقوق وانتشار المشكلات الاجتماعية.

علاج العشوائية في الزواج يمكن الحد من هذه الظاهرة من خلال:

١. تقديم الدين والخلق على سائر الاعتبارات.

٢. الاستشارة والاستشارة قبل اتخاذ القرار.

٣. السؤال عن حال الخاطب أو المخطوبة من أهل الثقة.

٤. مراعاة الكفاءة والتوافق بين الزوجين.

٥. التيسير في المهور ونفقات الزواج.

٦. إقامة برامج للتأهيل الأسري قبل الزواج.

٧. الالتزام بتعاليم الشريعة في جميع مراحل الزواج.

إن الزواج الناجح لا يقوم على المظاهر العابرة، ولا على المصالح المؤقتة، وإنما يقوم على الإيمان، وحسن الخلق، والتوافق، وحسن الاختيار. وكلما ابتعد الناس عن العشوائية في بناء أسرهم، واقتربوا من هدي الإسلام في الاختيار، كانت بيوتهم أكثر استقراراً، وأسرهـم أكثر سعادة، ومجتمعهم أكثر تماسكاً، تحقيقاً لقوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) [النحل: ٧٢].

المبحث السادس

العشوائية في حل المشكلات

لا يخلو إنسان ولا أسرة ولا مجتمع من المشكلات والأزمات، فهي سنة من سنن الحياة، غير أن الفرق بين الناجحين وغيرهم لا يكمن في وجود المشكلات أو عدمها، وإنما في طريقة التعامل معها. وقد أرشد الإسلام إلى أن معالجة الأزمات تكون بالحكمة، والتثبت، والتأني، والمشاورة، والنظر في العواقب، لا بالاندفاع والانفعال والغضب.

ومن أخطر صور العشوائية أن يتخذ الإنسان قراراته في أوقات الغضب، أو يبني موقفه على ردود الأفعال، دون تفكير أو تقدير للمصالح والمفاسد، فتكون نتائج ذلك أشد ضرراً من المشكلة نفسها.

أولاً: معالجة الأزمات بالغضب والانفعال

من أكثر صور العشوائية انتشاراً أن يقابل الإنسان المشكلة بالصراخ، أو الشتم، أو التهديد، أو اتخاذ قرارات متسريعة، فيتفاقم الخلاف، وتتعدد الأزمة.

وقد حذر النبي ﷺ من الاستسلام للغضب، فقال لرجل استوصاه:

«لا تغضب.»

فردد مراراً، فقال: «لا تغضب.» رواه البخاري (٦١١٦).

وقال عليه وسلم: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.»

رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

فالقوة الحقيقية ليست في الانفعال، وإنما في ضبط النفس وحسن التصرف.



ثانيًا: التسرع في إصدار الأحكام

قد يحكم بعض الناس على الأشخاص أو الأحداث بمجرد سماع خبر، أو رؤية موقف واحد، دون التثبت من الحقيقة، وهذا من أسباب الظلم وكثرة النزاعات.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: ٦].

وقال سبحانه: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

فالتثبت أصل عظيم في معالجة المشكلات.

ثالثًا: اتخاذ القرارات دون استشارة

الاستبداد بالرأي من أسباب الخطأ، بينما جعل الإسلام الشورى منهجًا في إدارة الأمور.

قال تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩].

وقال سبحانه: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [الشورى: ٣٨].

فلاستشارة توسع دائرة النظر، وتكشف ما قد يغيب عن الفرد.

رابعًا: تضخيم المشكلات

من العشوائية أن يُجعل الخطأ الصغير أزمة كبيرة، أو أن تُفسر المواقف بأسوأ الاحتمالات، فيزداد التوتر، وتتعدد العلاقات.

وقد أرشد الإسلام إلى العفو، والحلم، والإصلاح.

قال تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٤].

خامساً: إهمال الحوار الهادئ

الحوار الهادئ من أهم وسائل حل المشكلات، أما المقاطعة، ورفع الصوت، والتجريح، والانتهاكات، فإنها تؤدي إلى تعميق الخلاف.

قال تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [فصلت: ٣٤].

وقال سبحانه: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].

سادساً: إهمال النظر في العواقب

من صور العشوائية أن يتخذ الإنسان قراراً لحظياً دون أن يفكر في نتائجه المستقبلية، فيندم بعد فوات الأوان.

قال تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

فالنظر في المآلات من أصول الحكمة التي جاءت بها الشريعة.

آثار العشوائية في حل المشكلات

يترتب على معالجة المشكلات بعشوائية آثار سلبية كثيرة، منها:

☐ اتساع دائرة الخلاف.

☐ قطيعة الأرحام وتفكك الأسر.

☐ كثرة الندم على القرارات المتسعة.

☐ ضياع الحقوق.

☐ انتشار العداوة والبغضاء.



□ ضعف الثقة بين أفراد المجتمع.

علاج العشوائية في حل المشكلات

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. التزام الهدوء وضبط النفس عند وقوع الأزمات.
 ٢. الاستعاذة بالله من الشيطان عند الغضب، والعمل بوصايا النبي ﷺ في علاج الغضب.
 ٣. التثبت من الأخبار قبل إصدار الأحكام.
 ٤. اعتماد الشورى والاستفادة من أهل الخبرة.
 ٥. تغليب الحوار الهادئ والاحترام المتبادل.
 ٦. النظر في المصالح والمفاسد، ومآلات القرارات.
 ٧. تقديم العفو والإصلاح متى كان ذلك محققاً للمصلحة الشرعية.
- إن الحكمة والتأني من أعظم أسباب نجاح الإنسان في إدارة الأزمات، وقد جعل الإسلام التثبت، والشورى، والحلم، وكظم الغيظ، والنظر في العواقب، قواعد أساسية لحل المشكلات. أما العشوائية القائمة على الانفعال والتسرع، فإنها تزيد الأزمات تعقيداً، وتفتح أبواب الندم والخسارة. ولذلك كان من هدي النبي ﷺ أن يعالج المواقف بأناة وبصيرة، فيقدم الحكمة على الغضب، والإصلاح على الانتقام، والتثبت على التسرع، ليكون قدوة للأمة في حسن إدارة الأزمات ومعالجة المشكلات.

المبحث السابع

العشوائية في إصدار الأحكام على الناس

من أخطر صور العشوائية التي ابتلي بها كثير من الناس التسرع في إصدار الأحكام على الآخرين، وبناء المواقف من خلال حادثة واحدة، أو كلمة عابرة، أو خبر غير موثق، أو سماع طرف واحد من النزاع. وهذا السلوك ينافي العدل الذي أمر الله به، ويؤدي إلى ظلم الأبرياء، وتمزيق العلاقات، وإشاعة البغضاء بين أفراد المجتمع.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهج متكامل يقوم على التثبت، والعدل، وحسن الظن، وسماع جميع الأطراف، وعدم بناء الأحكام على الظنون والأوهام.

أولاً: الحكم من موقف واحد

قد يرى الإنسان موقفاً واحداً من شخص، فيبني عليه حكماً عاماً في أخلاقه أو دينه أو أمانته، مع أن الإنسان قد يخطئ مرة ويصيب مرات، ولا يعرف حقيقته إلا بمعاشرته أو شهادة العدول عليه.

قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: ٨].

فالعدل يقتضي عدم تعميم الحكم بسبب موقف واحد.

ثانياً: سماع طرف واحد

من أكثر أسباب الظلم أن يسمع الإنسان رواية أحد المتخاصمين، ثم يصدر حكمه قبل أن يسمع الطرف الآخر.



وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

”إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ للأول حتى تسمع من الآخر، فإنه أحرى أن يتبين لك
القضاء.“

المصدر: رواه الإمام أحمد في المسند (٦٥٨)، وأبو داود (٣٥٨٢)، وصححه عدد من أهل
العلم.

وهذا أصل عظيم في القضاء، ويشمل كذلك كل من أراد الحكم بين الناس.

ثالثًا: تصديق الشائعات والأخبار دون تثبيت

قد يبني بعض الناس مواقفهم على رسالة في وسائل التواصل، أو مقطع مجتزأ، أو خبر
مجهول المصدر، ثم ينقلونه ويحكمون به على الأشخاص والمؤسسات.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦].

وقال سبحانه: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

رابعًا: بناء الأحكام على الظنون

الإسلام نهى عن اتباع الظنون؛ لأنها كثيرًا ما توقع في الظلم وسوء الفهم.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات:
١٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث.»

رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

خامساً: إطلاق الأوصاف والأحكام المطلقة

من العشوائية أن يصف الإنسان غيره بأوصاف عامة مثل: "فاشل"، أو "كاذب"، أو "لا خير فيه"، بسبب خطأ واحد أو موقف معين، مع أن العدل يقتضي التفريق بين الخطأ وصاحبه، وبين الفعل والفاعل.

قال الإمام الذهبي رحمه الله:

"ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده أهدرناه وبدعناه، لقلَّ من يسلم من الأئمة."

المصدر: سير أعلام النبلاء (٣٧٦/١٤).

سادساً: التأثر بالعاطفة أو العصبية

قد يحمل الحب أو البغض الإنسان على الجور في الحكم، فيمدح بلا حق، أو يذم بلا إنصاف، وقد نهى الإسلام عن ذلك.

قال تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [المائدة: ٨].

فالعدل مطلوب مع الموافق والمخالف، والقريب والبعيد.

آثار العشوائية في إصدار الأحكام

ينتج عن هذه الظاهرة آثار خطيرة، منها:

- ☐ ظلم الأبرياء.
- ☐ قطع العلاقات الأسرية والاجتماعية.
- ☐ نشر الشائعات وفقدان الثقة بين الناس.



□ إثارة العداوات والخصومات.

□ الوقوع في الغيبة والبهتان.

□ تعميق الانقسامات داخل المجتمع.

علاج العشوائية في إصدار الأحكام ويمكن الحد من هذه الظاهرة من خلال:

١. التثبت من الأخبار قبل تصديقها أو نشرها.
٢. سماع جميع الأطراف قبل الحكم.
٣. إحسان الظن بالمسلمين ما لم يظهر خلاف ذلك بدليل.
٤. التفريق بين الخطأ العارض ومنهج الإنسان وسيرته.
٥. اجتناب الشائعات ومجالس نقل الأخبار.
٦. تحكيم العدل والإنصاف بعيداً عن الهوى والعصبية.
٧. استحضار أن الإنسان مسؤول أمام الله عن كل كلمة يصدرها.

قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨].

إن العدل في الحكم على الناس من أعظم أخلاق الإسلام، ولا يتحقق إلا بالتثبت، وسماع جميع الأطراف، وترك الظنون، والابتعاد عن الهوى والعاطفة. أما العشوائية في إصدار الأحكام، فإنها سبب لكثير من المظالم والخصومات والقطيعة، وقد جاءت الشريعة لتحفظ للناس حقوقهم وكرامتهم، وتجعل العدل أساس العلاقات الإنسانية، تحقيقاً لقوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠].

المبحث الثامن

العشوائية في التخطيط للمستقبل

لقد خلق الله تعالى الإنسان ليكون خليفة في الأرض، يعمرها بالحق، ويؤدي رسالته وفق منهج قائم على الحكمة والتدبير، لا على الارتجال والفوضى. ومن هنا كان التخطيط للمستقبل من السنن الكونية والشرعية التي دل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ إن الإسلام يدعو إلى النظر في العواقب، والاستعداد للمستقبل، والأخذ بالأسباب مع تمام التوكل على الله تعالى.

ومن أخطر صور العشوائية أن يعيش الإنسان يومه دون أهداف واضحة، أو رسالة محددة، أو رؤية مستقبلية، فيقضي سنوات عمره متنقلاً بين الأعمال والظروف، دون إنجاز حقيقي أو أثر باقٍ.

أولاً: العيش بلا أهداف

من أبرز مظاهر العشوائية أن يبدأ الإنسان يومه دون أن يعرف ماذا يريد أن يحقق في حياته، فيصبح أسير الظروف، ومنقاداً للأحداث، بدل أن يكون صاحب رسالة وغاية.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

فالآية الكريمة تدعو إلى النظر للمستقبل، والاستعداد له، ومراجعة الأعمال قبل حلول يوم الحساب.



ثانيًا: إهمال ترتيب الأولويات

قد ينشغل الإنسان بالأمور الثانوية، ويترك ما هو أهم منها، فيضيع عمره في أعمال لا تحقق أهدافه، ولا تقربه من ربه، ولا تنفع مجتمعه.

قال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز.»

رواه مسلم (٢٦٦٤).

وهذا الحديث أصل عظيم في ترتيب الأولويات، وتوجيه الجهود نحو ما ينفع في الدين والدنيا.

ثالثًا: اتخاذ القرارات دون دراسة

من صور العشوائية أن يتخذ الإنسان قرارات مصيرية في الدراسة، أو العمل، أو التجارة، أو الزواج، دون تفكير أو استشارة أو معرفة بالعواقب، فيقع في أخطاء كان يمكن تلافيها.

قال تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩].

والشورى من أهم وسائل حسن التخطيط، لأنها توسع دائرة الرأي وتعين على سلامة القرار.

رابعًا: إهمال تطوير النفس

التخطيط للمستقبل لا يقتصر على وضع الأمنيات، بل يحتاج إلى تنمية العلم، واكتساب المهارات، والاستفادة من الخبرات، حتى يكون الإنسان مؤهلًا لتحقيق أهدافه.

قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤].

فطلب العلم والتطوير المستمر من أهم وسائل صناعة المستقبل.

خامساً: الاستسلام للظروف واليأس

من العشوائية أن يستسلم الإنسان للصعوبات، ويظن أن النجاح مستحيل، فيترك السعي والعمل، مع أن الإسلام يدعو إلى الأمل، وحسن الظن بالله، وبذل الأسباب.

قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) [آل عمران: ١٥٩].

فالعزم، ثم التوكل، هما أساس النجاح في التخطيط والعمل.

سادساً: إغفال التخطيط للآخرة

من أعظم صور العشوائية أن يخطط الإنسان لدنياه، ويغفل عن مستقبله الأبدي في الآخرة، مع أن الدنيا مرحلة عابرة، والآخرة هي دار القرار.

قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧].

فالمسلم الناجح هو الذي يوازن بين عمارة دنياه والاستعداد لآخرفته.

آثار العشوائية في التخطيط للمستقبل

ينتج عن غياب التخطيط آثار كثيرة، منها:

☐ ضياع العمر دون إنجاز واضح.

☐ كثرة التردد والحيرة في اتخاذ القرارات.

☐ ضعف الإنجاز العلمي والعملية.

☐ ضياع الفرص النافعة.

☐ الشعور بالإحباط وعدم الرضا.



□ التخطيط عند مواجهة الأزمات.

علاج العشوائية في التخطيط للمستقبل

يمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. تحديد رسالة واضحة للحياة في ضوء مقاصد الشريعة.

٢. كتابة أهداف قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى.

٣. ترتيب الأولويات وفق الأهمية والاستعجال.

٤. الاستشارة والاستشارة قبل اتخاذ القرارات المهمة.

٥. تطوير العلم والمهارات باستمرار.

٦. مراجعة الخطط وتقويمها بصورة دورية.

٧. الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى.

نماذج قرآنية في التخطيط

لقد عرض القرآن الكريم نماذج مشرقة في حسن التخطيط، ومن أبرزها:

□ نبي الله يوسف عليه السلام، حين وضع خطة اقتصادية لمواجهة سنوات القحط،

فقال تعالى: (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا...) [يوسف: ٤٧-٤٩].

□ هجرة النبي ﷺ، فقد كانت مثالاً رائعاً في الإعداد، واختيار الرفيق، والدليل،

وتحديد الطريق، والأخذ بجميع الأسباب مع كمال التوكل على الله.

وهذه النماذج تؤكد أن التخطيط لا ينافي الإيمان، بل هو من تمامه.

إن التخطيط للمستقبل من معاني الحكمة التي حث عليها الإسلام، وهو دليل على حسن التدبير، واستشعار المسؤولية، وبُعد النظر.

أما العشوائية في التخطيط، فإنها تُهدر الأعمار، وتُضيع الفرص، وتورث الندم.

وإذا أراد المسلم أن يحقق النجاح في دنياه، والفوز في آخرته، فعليه أن يجعل لحياته أهدافاً واضحة، وخطةً مدروسة، وأن يستعين بالله تعالى، ويأخذ بالأسباب المشروعة، مقتدياً بهدي الأنبياء والصالحين، حتى يكون من أهل الإتقان الذين يحبهم الله تعالى.



المبحث التاسع

العشوائية في تربية الأبناء

تربية الأبناء أمانة عظيمة ومسؤولية شرعية، وليست مجرد توفير الطعام والشراب أو التعليم، وإنما هي بناء للدين، والأخلاق، والعقل، والشخصية. وقد جعل الإسلام الوالدين مسؤولين عن هذه الأمانة، وأمرهما بحماية الأبناء من أسباب الانحراف والضياع.

ومن أخطر صور العشوائية أن يترك الأبوان أبنائهما دون متابعة أو توجيه أو رقابة، فينشؤون وفق ما تمليه عليهم البيئة أو وسائل الإعلام أو رفقاء السوء، بعيداً عن التوجيه الشرعي والتربية الإيمانية.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) [التحریم: ٦].

قال الإمام الطبري رحمه الله:

”علموهم وأدبوهم، ووجهوهم إلى طاعة الله.“

المصدر: جامع البيان (٤٩١/٢٣).

أولاً: ترك الأبناء بلا متابعة

من أبرز صور العشوائية أن ينشغل الوالدان عن متابعة أبنائهما، فلا يعلمان أين يذهبون، ولا مع من يجلسون، ولا ماذا يشاهدون أو يقرؤون، فيصبح الأبناء عرضة للأفكار المنحرفة والسلوكيات السيئة.

قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.»

رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

فلأب راعٍ في بيته، والأم راعية في بيت زوجها، وكلاهما مسؤول أمام الله عن رعيته.

ثانيًا: إهمال التربية الإيمانية

قد يحرص بعض الآباء على تعليم أبنائهم العلوم الدنيوية، ويغفل عن تعليمهم الصلاة، والقرآن، والعقيدة، والآداب الإسلامية، مع أن أول ما يحتاج إليه الابن هو صلاح دينه.

قال تعالى على لسان لقمان لابنه:

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) [لقمان: ١٧].

وقال النبي ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع.»

رواه أبو داود (٤٩٥)، وصححه جمع من أهل العلم.

ثالثًا: غياب الحوار مع الأبناء

من مظاهر العشوائية أن تقتصر علاقة الوالدين بالأبناء على الأوامر والنواهي، دون حوار أو استماع أو احتواء، مما يدفع كثيرًا من الأبناء إلى البحث عن بدائل خارج الأسرة.

وقد عرض القرآن الكريم حوار لقمان مع ابنه نموذجًا راقيًا في التربية، حيث امتلأ بالموعظة، والرفق، والإقناع، والحكمة.

رابعًا: ترك الأبناء لوسائل التقنية دون ضوابط

في هذا العصر أصبحت الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي من أكثر المؤثرات في الأبناء، ومن صور العشوائية أن تُترك هذه الوسائل بلا رقابة أو توجيه أو تحديد للأوقات والمحتوى.



قال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٦].

فالوالدان مسؤولان عن توجيه أبنائهما إلى الاستخدام النافع، وحمايتهم من المحتوى الضار.

خامساً: التناقض بين القول والعمل

من أكبر أسباب فشل التربية أن يأمر الوالدان أبنائهما بأمر ثم يخالفانه، كأن يأمرهما بالصدق وهما يكذبان، أو بالمحافظة على الصلاة وهما يتهاونان بها.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف: ٢-٣].

فالقُدوة الصالحة من أعظم وسائل التربية.

سادساً: إهمال غرس القيم والأخلاق

قد يركز بعض الآباء على نجاح أبنائهم الدراسي، ويغفل عن غرس الصدق، والأمانة، والحياء، والرحمة، واحترام الكبير، وتحمل المسؤولية، مع أن الأخلاق هي أساس شخصية المسلم.

قال النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق.»

رواه أحمد (٨٩٥٢)، وصححه الألباني.

آثار العشوائية في تربية الأبناء

يترتب على هذه العشوائية آثار خطيرة، منها:

- ☐ ضعف الوازع الديني.
- ☐ الانحراف الفكري أو السلوكي.
- ☐ عقوق الوالدين.
- ☐ سوء اختيار الرفقة.
- ☐ الإدمان على وسائل التواصل والألعاب الإلكترونية.
- ☐ ضعف تحمل المسؤولية.
- ☐ تفكك الروابط الأسرية.

علاج العشوائية في تربية الأبناء

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. استشارة الوالدين مسؤوليتهم الشرعية.
٢. وضع خطة تربوية واضحة لكل مرحلة عمرية.
٣. غرس العقيدة والعبادات والأخلاق منذ الصغر.
٤. المتابعة المستمرة للأبناء في الدراسة والسلوك والرفقة.
٥. تخصيص وقت يومي أو أسبوعي للحوار معهم.
٦. تنظيم استخدام الأجهزة الإلكترونية والإنترنت.



٧. الدعاء للأبناء بالصالح، والحرص على أن يكون الوالدان قدوة حسنة لهم.

نماذج قرآنية في التربية

حفِ القرآن الكريم بنماذج عظيمة في تربية الأبناء، منها:

□ وصايا لقمان لابنه، كما في سورة لقمان.

□ توجيهات يعقوب عليه السلام لأبنائه، كما في سورة يوسف.

□ دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته، قال تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)

[إبراهيم: ٤٠].

وهذه النماذج تؤكد أن التربية الناجحة تقوم على الإيمان، والحكمة، والقدوة، والدعاء.

إن تربية الأبناء ليست عملاً ارتجالياً، بل رسالة عظيمة تحتاج إلى علم، وصبر، وحكمة، ومتابعة مستمرة. وكلما ابتعد الوالدان عن العشوائية، وأخذوا بأسباب التربية الإسلامية الصحيحة، كان الأبناء أصلح ديناً، وأقوم خلقاً، وأنفع لمجتمعهم، وأقرب إلى تحقيق مقصود الشريعة في بناء الأسرة المسلمة الصالحة. ولذلك كان السلف الصالح يعدون تربية الأبناء من أعظم القربات، لأنها بناء للإنسان، وحفظ للأمة، وصدقة جارية يبقى أثرها بعد وفاة الوالدين.

المبحث العاشر

العشوائية في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي من أبرز وسائل الاتصال والتأثير في العصر الحديث، حتى غدت جزءاً من حياة الناس اليومية، بما توفره من سرعة في نقل الأخبار، وسهولة في التواصل، وإمكانات واسعة في نشر العلم والمعرفة والخبرات.

وهذه الوسائل في ذاتها نعمة من نعم الله تعالى إذا استعملت فيما ينفع، وهي في الوقت نفسه قد تتحول إلى وسيلة هدم وإفساد إذا أسيء استخدامها. ومن أخطر صور العشوائية أن يستعملها الإنسان بلا ضوابط شرعية ولا أخلاقية، فينشر الأخبار دون تثبت، ويضيع الساعات فيما لا يفيد، ويشارك في نشر الشائعات والفتن، ويغفل عن مسؤوليته أمام الله تعالى فيما يكتب أو ينشر.

أولاً: نشر الأخبار دون تثبت

من أخطر صور العشوائية في وسائل التواصل الاجتماعي إعادة نشر الأخبار والرسائل والمقاطع قبل التأكد من صحتها، مما يؤدي إلى انتشار الشائعات، وإلحاق الضرر بالأفراد والمجتمعات.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.»

رواه مسلم



فالواجب على المسلم أن يتثبت من الأخبار قبل نشرها، لأن إعادة إرسال الخبر مشاركة في تبعة نشره.

ثانيًا: إضاعة الأوقات فيما لا ينفع

يقضي كثير من الناس ساعات طويلة في تصفح التطبيقات ومتابعة المقاطع والمنشورات التي لا تعود عليهم بفائدة دينية أو دنيوية، حتى يضيع العمر دون إنجاز.

قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.»

رواه البخاري (٦٤١٢).

وقال عليه وسلم: «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه.»

رواه الترمذي (٢٣١٧)، وحسنه.

فالوقت نعمة عظيمة، والمسلم مسؤول عن استثماره فيما ينفع.

ثالثًا: الانشغال بالمحتوى التافه وإهمال النافع

من مظاهر العشوائية متابعة كل جديد دون تمييز، والانشغال بالأخبار التافهة، والخلافات العقيمة، والترفيه المفرط، مع الإعراض عن العلم، والقرآن، والبرامج النافعة.

قال تعالى: (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس: ٣٢].

وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) [المؤمنون: ٣].

رابعاً: الخوض في أعراض الناس

قد تتحول وسائل التواصل إلى منابر للغيبة، والسخرية، والتشهير، والتنمر، وإطلاق الأحكام دون بينة.

قال تعالى: (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) [الحجرات: ١٢].

وقال سبحانه: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨].

فكل كلمة يكتبها الإنسان أو ينشرها هي داخلة في صحيفته، وسيحاسب عليها يوم القيامة.

خامساً: الانشغال بالعالم الافتراضي على حساب الواقع

من صور العشوائية أن يقضي الإنسان معظم وقته مع هاتفه، ويقصر في حقوق والديه، وزوجه، وأبنائه، وأرحامه، أو يهمل عمله ودراسته وعبادته.

قال النبي ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.»

رواه البخاري (١٩٦٨).

فالإسلام يدعو إلى التوازن، وعدم طغيان جانب على آخر.

سادساً: طلب الشهرة وجمع الإعجابات

قد ينشر بعض الناس كل تفاصيل حياتهم، أو يفتعلون المواقف المثيرة، أو يدخلون في جدالات لا فائدة منها، طلباً للشهرة وكثرة المتابعين، مع إهمال الإخلاص ومراقبة الله تعالى.



قال النبي ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به.»

رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

فالمؤمن يبتغي بعمله وجه الله، لا ثناء الناس وإعجابهم.

آثار العشوائية في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

ينتج عن هذه العشوائية آثار كثيرة، منها:

☐ انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة.

☐ ضياع الأوقات والأعمار.

☐ ضعف التحصيل العلمي والإنتاجية.

☐ كثرة الخصومات وإثارة الفتن.

☐ التفكك الأسري والاجتماعي.

☐ انتشار الغيبة والتنمر والإساءة إلى الآخرين.

☐ ضعف الصلة بالله تعالى بسبب الانشغال المستمر.

علاج العشوائية في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

يمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. استحضار مراقبة الله تعالى قبل كل كتابة أو نشر.

٢. التثبت من الأخبار قبل تداولها.

٣. تخصيص أوقات محددة لاستخدام وسائل التواصل.
 ٤. متابعة الحسابات العلمية والدعوية والثقافية النافعة.
 ٥. ترك الجدل العقيم والخوض فيما لا ينفع.
 ٦. تقديم الواجبات الدينية والأسرية والعملية على الاستخدام الترفيهي.
 ٧. محاسبة النفس على الوقت الذي يقضى في هذه الوسائل، وحذف ما يسبب الإدمان أو يجر إلى المعصية.
- لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي من أقوى وسائل التأثير في المجتمعات، فهي سلاح ذو حدين؛ فمن أحسن استخدامها كانت وسيلة لنشر العلم، والدعوة، وصلة الأرحام، والإصلاح بين الناس، ومن استعملها بعشوائية كانت سبباً في ضياع الأوقات، وإفساد الأخلاق، ونشر الشائعات، وتمزيق العلاقات. ومن هنا كان الواجب على المسلم أن يجعل هذه الوسائل خاضعة لميزان الشرع، وأن يتذكر دائماً أن ما يكتبه اليوم سيجده غداً في صحيفة أعماله، قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) [الكهف: ٤٩].
- وبقدر ما يلتزم المسلم بضوابط الشريعة في استخدام هذه الوسائل، تتحول من سبب للفوضى والعشوائية إلى وسيلة للإصلاح، والدعوة، ونشر الخير، وتحقيق النفع للأمة.



المبحث الحادي عشر

العشوائية في العمل

جعل الإسلام العمل من أعظم ميادين العبادة، وربط بين الإيمان والإتقان، وحث على أداء الأعمال بإخلاص وأمانة، وعدّ التقصير فيها نوعاً من الإخلال بالمسؤولية التي سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة. ولم يفرق الإسلام بين العمل الديني والدنيوي إذا صلحت النية والتزم صاحبه بأحكام الشرع، بل جعل كل عمل نافع يقوم به الإنسان بإتقان وإخلاص قرينةً إلى الله تعالى.

ومن أخطر صور العشوائية في حياة الناس التهاون في أداء الأعمال، والإهمال، وعدم الالتزام بالمواعيد، وضعف الإتقان، مما يؤدي إلى تعطيل المصالح، وضياع الحقوق، وتأخر المجتمعات.

قال الله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: ١٠٥].

أولاً: الإهمال والتقصير في أداء العمل

من أبرز مظاهر العشوائية أن يؤدي الإنسان عمله بلا اهتمام أو مسؤولية، فيكثر الخطأ، ويضيع حق المستفيدين من عمله، سواء كان موظفاً، أو معلماً، أو طبيباً، أو تاجراً، أو عاملاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.»

رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

فالوظيفة أمانة، وكل من تولى عملاً فهو مسؤول عنه أمام الله تعالى.

ثانيًا: عدم الالتزام بالمواعيد

من صور العشوائية التأخر عن الدوام، أو الاجتماعات، أو تسليم الأعمال، أو التساهل في إنجاز الواجبات في أوقاتها، مما ينعكس سلبًا على سير العمل وثقة الناس.

وقد مدح الله تعالى أهل الوفاء فقال: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون: ٨].

والالتزام بالمواعيد من تمام الوفاء بالأمانة والعهد.

ثالثًا: ضعف الإلتقان

الإلتقان من أعظم القيم التي دعا إليها الإسلام، أما أداء الأعمال بصورة ناقصة أو مهملة فهو من صور العشوائية المذمومة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه.»

رواه البيهقي في شعب الإيمان، وحسنه عدد من أهل العلم بمجموع طرقه.

وكان السلف يرون أن الإلتقان عنوان صدق الإيمان وحسن أداء الأمانة.

رابعًا: الفوضى في ترتيب الأعمال

قد يبدأ الموظف أو العامل عدة أعمال في وقت واحد دون تنظيم أو ترتيب، فيترك أكثرها غير مكتمل، أو يخلط بين الأولويات، فتقل جودة العمل وتضيع الأوقات.

قال تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨].

وفي الآية إشارة إلى أهمية التخطيط والنظر في النتائج.



خامساً: إضاعة وقت العمل

من صور العشوائية قضاء ساعات العمل في الأحاديث الجانبية، أو تصفح الهاتف، أو الانشغال بأمور شخصية على حساب الواجبات الوظيفية، مع أن وقت العمل حق لصاحب العمل أو للمصلحة العامة.

قال النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل... وعن عمره فيما أفناه.»

رواه الترمذي (٢٤١٧)، وحسنه.

سادساً: ضعف روح المبادرة وتحمل المسؤولية

من مظاهر العشوائية أن ينتظر الإنسان دائماً من يوجهه أو يراقبه، فلا يبادر إلى الإصلاح، ولا يسعى إلى تطوير عمله، ولا يتحمل مسؤولية التقصير.

قال تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) [البقرة: ١٤٨].

والمبادرة إلى الخير والإصلاح من صفات المؤمنين.

سابعاً: عدم تطوير المهارات المهنية

يتغير العمل وتتطور وسائله باستمرار، ومن العشوائية أن يبقى الإنسان على مستواه نفسه سنوات طويلة دون تعلم أو تدريب أو تطوير.

قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤].

فطلب العلم والتطوير المستمر يشمل علوم الدين وما يحتاج إليه الإنسان في عمله ومهنته.

آثار العشوائية في العمل



ينتج عن العشوائية في العمل آثار كثيرة، منها:

- ☐ ضعف الإنتاجية وقلة الإنجاز.
- ☐ كثرة الأخطاء والחסائر.
- ☐ ضياع حقوق الناس.
- ☐ ضعف الثقة بين العاملين وأصحاب العمل.
- ☐ تأخر المؤسسات والمجتمعات.
- ☐ انتشار الكسل واللامبالاة.
- ☐ ضعف البركة في العمل والكسب.

علاج العشوائية في العمل

يمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. استحضار أن العمل أمانة ومسؤولية أمام الله تعالى.
٢. الالتزام بالمواعيد وإنجاز الأعمال في وقتها.
٣. الحرص على الإتقان والجودة في كل عمل.
٤. وضع خطة يومية وترتيب الأولويات.
٥. استثمار وقت العمل فيما خُصص له.
٦. تطوير المهارات والخبرات بصورة مستمرة.



٧. نشر ثقافة الانضباط والمساءلة داخل المؤسسات.

نماذج من القرآن والسنة في الإتيان

لقد قدم القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج عملية في الإعداد والإتيان، ومن ذلك:

□ أمر الله تعالى بإعداد القوة، فقال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال: ٦٠].

□ كما كانت هجرة النبي ﷺ مثلاً بديعاً في حسن التخطيط، وإحكام الأسباب، وتوزيع الأدوار، مع كمال التوكل على الله.

وهذا يدل على أن الإتيان والنظام أصلان من أصول النجاح في الإسلام.

إن العمل في الإسلام عبادة، والإتيان فيه خلق إيماني، والعشوائية في أدائه سبب لتضييع الأمانات وتعطيل المصالح وتأخر الأمم. ولذلك دعا الإسلام إلى الانضباط، والجد، والالتزام، وإحسان الأداء، حتى يكون المسلم قدوة في ميدانه، وشاهداً على عظمة دينه، مصداقاً لقوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠].

فكلما التزم العامل بالنظام والإتيان، وأدى عمله بإخلاص وأمانة، كان ذلك سبباً لنجاحه في الدنيا، وفوزه بثواب الله تعالى في الآخرة، وتحقيقاً لمقصد الإسلام في عمارة الأرض وإصلاحها.

المبحث الثاني عشر

العشوائية في العلاقات الأسرية

جعل الإسلام الأسرة أساس بناء المجتمع، وأقامها على السكن، والمودة، والرحمة، والتعاون، وتحمل المسؤولية، وأحاطها بمنظومة متكاملة من الحقوق والواجبات التي تحفظ استقرارها وتضمن استمرارها. ولذلك لم يترك الإسلام الحياة الأسرية للعادات أو الأهواء، بل وضع لها تشريعات دقيقة تنظم العلاقة بين الزوجين، والوالدين والأبناء، وسائر أفراد الأسرة.

ومن أخطر صور العشوائية أن تُدار الأسرة بلا حوار، ولا تخطيط، ولا توزيع للواجبات، ولا معرفة بالحقوق، فتكثر الخلافات، ويضعف الترابط، ويعيش أفراد الأسرة في اضطراب دائم. قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: ٢١].

فهذه الآية تبين أن الأصل في الأسرة السكينة والاستقرار، لا الفوضى والنزاع.

أولاً: غياب الحوار بين أفراد الأسرة

من أبرز مظاهر العشوائية أن يقتصر التواصل داخل الأسرة على الأوامر والعتاب، أو أن يغيب الحوار الهادئ الذي يبني الثقة ويقرب القلوب.

وقد عرض القرآن الكريم نماذج رائعة للحوار الأسري، كحوار إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل، وحوار لقمان مع ابنه، مما يدل على أن الحوار منهج قرآني في التربية والإصلاح.



قال تعالى: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) [الصافات: ١٠٢].

وقال سبحانه: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ) [لقمان: ١٣].

ثانيًا: عدم تنظيم شؤون الأسرة

قد تعيش بعض الأسر دون تنظيم للمصروفات، أو أوقات الاجتماع، أو تربية الأبناء، أو توزيع المسؤوليات، مما يؤدي إلى كثرة المشكلات وسوء إدارة الحياة اليومية.

قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) [النساء: ٣٤].

والقوامة تعني القيام بمسؤولية الإدارة والرعاية والإنفاق والتوجيه بالحكمة والعدل، لا الاستبداد أو الإهمال.

ثالثًا: إهمال الحقوق والواجبات

من صور العشوائية أن يطالب كل فرد بحقوقه، ويقصر في واجباته، أو يجهل ما أوجب الله عليه تجاه أسرته.

قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «إِنْ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ».

رواه البخاري (١٩٦٨).

فاستقرار الأسرة يقوم على أداء الحقوق قبل المطالبة بها.

رابعًا: إهمال حل الخلافات بالحكمة

الخلاف بين أفراد الأسرة أمر طبيعي، لكن العشوائية تظهر عندما تُعالج المشكلات بالصراخ، أو الهجر، أو التشهير، أو تدخل الآخرين دون حاجة.

قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) [النساء: ٣٥].

فالقرآن وضع منهجًا للإصلاح يقوم على الحكمة والإصلاح قبل تفاقم النزاع.

خامسًا: ضعف القدوة داخل الأسرة

إذا رأى الأبناء التناقض بين أقوال الوالدين وأفعالهما، أو كثرة الخصومات داخل البيت، ضعف أثر التربية، وتأثر الأبناء بذلك.

قال تعالى: (لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف: ٢].

فالقدوة العملية من أعظم وسائل استقرار الأسرة.

سادسًا: الانشغال عن الأسرة

من صور العشوائية أن ينشغل أحد الوالدين بالعمل، أو الهاتف، أو المجالس، حتى يضعف التواصل مع الزوج أو الأبناء، وتضيع حاجاتهم النفسية والتربوية.

قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.»

رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

فالرعاية لا تقتصر على النفقة، بل تشمل المتابعة، والتوجيه، والرحمة، وحسن المعاملة.



آثار العشوائية في العلاقات الأسرية

تؤدي العشوائية داخل الأسرة إلى آثار خطيرة، منها:

- ☐ كثرة الخلافات والنزاعات.
- ☐ ضعف المودة والرحمة بين الزوجين.
- ☐ التفكك الأسري.
- ☐ انحراف الأبناء أو ضعف شخصياتهم.
- ☐ انتشار العقوق وقطيعة الرحم.
- ☐ فقدان الشعور بالأمن والاستقرار داخل البيت.

علاج العشوائية في العلاقات الأسرية

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. جعل الحوار الهادئ أساساً للتواصل بين أفراد الأسرة.
٢. معرفة الحقوق والواجبات الشرعية والالتزام بها.
٣. تنظيم شؤون الأسرة وتوزيع المسؤوليات بعدل.
٤. تخصيص أوقات للاجتماع الأسري والتشاور.
٥. معالجة الخلافات بالحكمة والصبر والتدرج.
٦. أن يكون الوالدان قدوة حسنة في الأخلاق والانضباط.

٧. الإكثار من الدعاء للأسرة بالصلاح، والاستعانة بالله في إصلاحها.

نماذج قرآنية في إدارة الأسرة

حفل القرآن الكريم بأروع النماذج في العلاقات الأسرية، ومنها:

☐ حوار إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل، المبني على الشورى والرفق.

☐ وصايا لقمان لابنه، التي جمعت بين العقيدة والعبادة والأخلاق.

☐ دعاء زكريا عليه السلام بطلب الذرية الصالحة.

☐ دعاء عباد الرحمن:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: ٧٤].

إن الأسرة المسلمة لا تستقر بالمحبة وحدها، بل تحتاج إلى نظام يحكمها، وحوار يبني جسور الثقة، وعدل يؤدي الحقوق، ورحمة تعالج الأخطاء، وحكمة تدير الخلافات. أما العشوائية في العلاقات الأسرية فإنها تفتح أبواب النزاع، وتضعف الروابط، وتؤثر في تربية الأبناء واستقرار المجتمع. ومن هنا كان التزام منهج الإسلام في إدارة الأسرة من أعظم أسباب السعادة في الدنيا، والفوز برضا الله تعالى في الآخرة.



المبحث الثالث عشر

العشوائية في طلب العلم

طلب العلم من أجل العبادات، وأعظم القربات إلى الله تعالى، وهو أساس صلاح العقيدة، وصحة العبادة، واستقامة السلوك. وقد رفع الله تعالى أهل العلم درجات، وجعلهم ورثة الأنبياء، وأمر بسؤالهم عند الجهل، فقال سبحانه: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

ولم يترك الإسلام طلب العلم للاجتهادات الشخصية أو الأهواء، بل وضع له منهجاً قائماً على التلقي عن العلماء الثقات، والتدرج في التعلم، والتثبت من الأدلة، واحترام التخصص. ومن أخطر صور العشوائية أن يتلقى الإنسان دينه من غير أهله، أو ينتقل بين الأقوال والفتاوى دون منهج علمي، أو يكتفي بالمقاطع المختصرة ومنشورات وسائل التواصل، فيختلط عليه الحق بالباطل، ويقع في الاضطراب الفكري.

أولاً: أخذ العلم من غير أهله

من أبرز صور العشوائية أن يجعل الإنسان مصدر علمه كل من يتكلم في الدين، دون النظر إلى علمه، أو أمانته، أو منهجه.

قال الله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

وقال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله:

”إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.“

المصدر: رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه.



وهذه الكلمة من أعظم القواعد في حفظ الدين من الانحراف.

ثانيًا: التنقل بين الأقوال بلا منهج

قد يجمع بعض الناس الأقوال التي توافق أهواءهم، أو ينتقلون بين الفتاوى طلبًا للأسهل، دون معرفة بالأدلة أو قواعد الترجيح، فيقعون في تتبع الرخص المذموم.

قال الإمام سليمان التيمي رحمه الله:

"لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله."

المصدر: رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى.

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله:

"من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام."

أي: من جعل الشاذ والنادر منهجًا يتبعه، لا أنه يكفر بذلك.

ثالثًا: ترك التدرج في طلب العلم

من صور العشوائية أن يبدأ الطالب بالمسائل الدقيقة والخلافات الكبرى قبل إتقان الأصول، أو يكثر من قراءة الكتب الكبيرة دون تأسيس علمي صحيح.

قال الإمام الزهري رحمه الله:

"من طلب العلم جملة ذهب عنه جملة، وإنما يطلب العلم على مر الأيام والليالي."

فالعلم يبنى بالتدرج، كما تبني الأبنية لبنة بعد أخرى.



رابعاً: الاعتماد على وسائل التواصل مصدرًا وحيدًا للعلم

لا شك أن وسائل التواصل قد تنشر الخير والعلم، لكنها لا تغني عن التلقي المنظم على أيدي العلماء، ولا عن دراسة الكتب المعتمدة.

وقد يؤدي الاكتفاء بالمقاطع المختصرة إلى فهم مبتور للنصوص، أو نقل مسائل دون معرفة سياقها أو شروطها.

قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

خامساً: طلب العلم بلا عمل

من صور العشوائية أن يكثر الإنسان من جمع المعلومات، وحضور الدروس، واقتناء الكتب، دون أن يظهر أثر ذلك على عبادته وأخلاقه وسلوكه.

قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف: ٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة... وعن علمه ماذا عمل فيه.»

رواه الترمذي (٢٤١٧)، وحسنه.

فثمرة العلم هي العمل، وإلا كان حجة على صاحبه.

سادساً: التعصب وترك أدب الخلاف

من العشوائية أن يتحول الاختلاف الفقهي إلى خصومة، أو أن يتعصب الإنسان لرأيه أو لشيخه، ويطعن في المخالف بغير علم.

قال تعالى: (وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣].

وكان الأئمة يختلفون في مسائل الاجتهاد، مع بقاء الاحترام والمودة بينهم، مما يدل على سمو أخلاقهم وعظيم فقههم.

آثار العشوائية في طلب العلم "ينتج عن هذه العشوائية آثار كثيرة، منها:

☐ اضطراب الفهم وضعف التأصيل.

☐ انتشار الفتاوى الشاذة.

☐ الوقوع في الغلو أو التساهل.

☐ كثرة الجدل والخصومات.

☐ فقدان الثقة بالعلماء.

☐ ضعف العمل بالعلم.

☐ انتشار الجهل باسم العلم.

علاج العشوائية في طلب العلم "ويمكن معالجة هذه الظاهرة من خلال:

١. الإخلاص لله تعالى في طلب العلم.

٢. التلقي عن العلماء الثقات المعروفين بالعلم والورع.

٣. الالتزام بالتدرج في دراسة العلوم الشرعية.

٤. الرجوع إلى الكتب المعتمدة في كل فن.

٥. احترام التخصص، وعدم الكلام فيما يجهله الإنسان.

٦. الجمع بين العلم والعمل والدعوة بالحكمة.



٧. التحلي بأدب الخلاف، واجتناب التعصب والجدال العقيم.

نماذج من هدي السلف في طلب العلم

كان السلف الصالح يرحلون المسافات الطويلة لسماع حديث واحد من أهله، ويتثبتون في الرواية، ويتواضعون في التعلم، حتى قال الإمام مالك رحمه الله:

”لا يؤخذ العلم عن أربعة...”

ثم ذكر أصنافاً لا يؤخذ عنهم، ومنهم من ليس من أهل الإتقان، مما يدل على عنايتهم بتحري المصدر الصحيح للعلم.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

”ما ناظرت أحداً إلا أحببت أن يظهر الله الحق على لسانه.”

فهذا هو أدب العلماء، وهو أبعد ما يكون عن العشوائية والتعصب.

إن طلب العلم عبادة عظيمة لا تستقيم إلا بمنهج صحيح، قائم على الإخلاص، والتلقي عن أهله، والتدرج، والعمل بالعلم، واحترام العلماء، وأدب الخلاف. أما العشوائية في طلب العلم فإنها تفسد الفهم، وتوقع في الانحراف والاضطراب، وتفتح باب الفتوى بغير علم، وهو من أعظم الذنوب. ولذلك كان من أعظم وسائل حفظ الدين أن يؤخذ العلم من مصادره الموثوقة، وأن يسير طالب العلم على منهج راسخ يجمع بين صحة الدليل، وحسن الفهم، وصدق العمل، امتثالاً لقوله تعالى:

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: ١١].

المبحث الرابع عشر

العشوائية في الفتوى والكلام في الدين

الفتوى من أخطر المناصب الشرعية، لأنها تبليغ عن الله تعالى، وبيان لحكمه في الوقائع والنوازل، ولذلك كان السلف الصالح يهابون الفتوى، ويخشون القول على الله بغير علم. ولم يجعل الإسلام الفتوى حقاً لكل أحد، وإنما قصرها على أهل العلم الراسخين الذين جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة، وفقه النصوص، ومعرفة مقاصد الشريعة، وإدراك واقع الناس.

وفي عصرنا كثرت وسائل النشر، وسهل الكلام، وأصبح بعض الناس يفتي في دقائق المسائل من خلال منشور أو مقطع أو تعليق، دون علم أو تأهيل، كما أصبح آخرون يتلقون الفتاوى من غير أهل الاختصاص، أو يختارون منها ما يوافق أهواءهم، فانتشرت الفوضى، واضطربت المفاهيم، وكثرت الأقوال المتناقضة.

ومن هنا كانت العشوائية في الفتوى من أخطر صور العشوائية؛ لأنها لا تفسد فرداً واحداً، بل قد تضلل جماعات، وتغير مفاهيم، وتوقع الناس في الحلال والحرام بغير هدى.

أولاً: التجرؤ على الفتوى بغير علم

من أعظم صور العشوائية أن يتصدر الإنسان للإفتاء وهو غير مؤهل، فيتكلم في الحلال والحرام بغير بينة.

قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

وقال سبحانه: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣].



وقال عز وجل: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) [النحل: ١١٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

”المفتي موقع عن رب العالمين.”

المصدر: إعلام الموقعين (٧/١).

ولهذا كانت الفتوى من أعظم المسؤوليات.

ثانيًا: أخذ الفتاوى من غير أهل الاختصاص

من صور العشوائية أن يسأل الإنسان غير المؤهلين، أو يعتمد على مشاهير وسائل التواصل، أو يأخذ دينه من مقاطع مجهولة المصدر، دون الرجوع إلى العلماء المعروفين بالعلم والديانة.

قال الله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

فهذه الآية أصل في وجوب الرجوع إلى أهل الاختصاص في العلم الشرعي.

ثالثًا: تتبع الرخص والبحث عن الأسهل

من مظاهر العشوائية أن ينتقل بعض الناس بين المفتين لا طلبًا للحق، وإنما بحثًا عن الفتوى التي توافق هواه، ولو كانت مرجوحة.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله:

”من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام.”

والمقصود: أنه إذا جعل الشاذ والنادر منهجًا دائمًا، أفسد دينه، وليس المراد التكفير.

وقال الإمام سليمان التيمي رحمه الله :

”لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.“

المصدر: البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى.

رابعاً: الكلام في النوازل بغير علم

كثير من القضايا المعاصرة تحتاج إلى فقه جماعي، ومعرفة بالواقع، واستشارة أهل الاختصاص، ومع ذلك يتصدر لها بعض الناس دون تأهيل.

قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [النساء: ٨٣].

وفي الآية دليل على رد المسائل إلى أهل العلم والاستنباط.

خامساً: الجرأة على تفسير النصوص دون أدوات العلم

من صور العشوائية أن يفسر الإنسان القرآن أو السنة بمجرد فهمه المجرد، دون معرفة باللغة العربية، وأصول التفسير، وقواعد الاستدلال، وأقوال العلماء.

قال النبي ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.»

رواه الترمذي (٢٩٥٠)، وحسنه بعض أهل العلم، وضعفه آخرون، إلا أن معناه صحيح في النهي عن القول في كتاب الله بغير علم، وتشهد له نصوص القرآن المحكمة.



سادساً: نشر الفتاوى دون تحقق

قد ينقل بعض الناس فتوى منسوبة إلى عالم دون التأكد من صحتها، أو ينشر أحكاماً قديمة في غير موضعها، أو ينقل كلاماً مبتوراً، فيوقع الناس في اللبس.

قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.»

رواه مسلم (٥).

فواجب المسلم أن يتحرى قبل النقل، كما يتحرى قبل الفتوى.

آثار العشوائية في الفتوى

ينتج عن الفوضى في الفتوى آثار خطيرة، منها:

- ☐ انتشار القول على الله بغير علم.
- ☐ اضطراب الناس في معرفة الأحكام الشرعية.
- ☐ كثرة الفتاوى الشاذة والمتناقضة.
- ☐ فقدان الثقة بالفتوى والمؤسسات العلمية.
- ☐ انتشار الغلو أو التفريط.
- ☐ الوقوع في المحرمات بسبب الجهل.
- ☐ تمزيق وحدة المجتمع بسبب تضارب الأقوال.

علاج العشوائية في الفتوى

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. تعظيم شأن الفتوى ، واستشعار خطورتها.
٢. قصر الفتوى على العلماء المؤهلين.
٣. الرجوع إلى المجامع الفقهية والهيئات العلمية المعتبرة في النوازل.
٤. سؤال أهل العلم المعروفين بالرسوخ والورع.
٥. التثبت من صحة الفتاوى قبل نشرها.
٦. الامتناع عن الكلام في الدين بغير علم.
٧. نشر ثقافة احترام التخصص في العلوم الشرعية.

نماذج من ورع السلف في الفتوى

كان الصحابة والتابعون أشد الناس هيبةً للفتوى ، مع سعة علمهم.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله:

”أدركتُ مائةً وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما منهم رجل يُسأل عن شيءٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا.“

المصدر: رواه الدارمي في سننه (٥٧/١).



وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله :

”من أجاب في مسألة، فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب.“

المصدر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله.

فهذه النصوص تبين مقدار خوف العلماء من التسرع في الفتوى، مع علمهم وفضلهم، فكيف بمن لم يتأهل لها؟

إن الفتوى أمانة عظيمة، وهي توقيع عن رب العالمين، فلا يجوز أن يتصدر لها إلا من استكمل أدواتها، وشهد له أهل العلم بالأهلية. أما العشوائية في الفتوى والكلام في الدين، فإنها من أخطر أسباب الانحراف، واضطراب الأحكام، وفساد التصورات، ولذلك أمر الله تعالى برد العلم إلى أهله، ونهى عن القول عليه بغير علم، وجعل سؤال العلماء من أصول هذا الدين. فإذا التزم المسلم هذا المنهج، سلم دينه، واستقام فهمه، وأمن من الزلل، وكان ممثلاً لقوله سبحانه: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

المبحث الخامس عشر

العشوائية في الدعاء

الدعاء من أعظم العبادات وأجلّ القربات، وهو صلة بين العبد وربّه، ومظهر من مظاهر الافتقار إلى الله تعالى، وقد أمر الله تعالى عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة، فقال سبحانه:

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة».

رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩).

ولما كان الدعاء عبادة، فإن له آداباً وضوابط، وليس مجرد كلمات تُقال بلا حضور قلب أو معرفة بمعانيها. ومن صور العشوائية في الدعاء أن يدعو الإنسان بلسانه دون قلبه، أو يطلب ما يضره، أو يستعجل الإجابة، أو يجعل الدعاء بديلاً عن الأخذ بالأسباب.

أولاً: الدعاء بلا حضور قلب

من صور العشوائية أن يردد الإنسان الأدعية بلسانه وقلبه غافل، فلا يستشعر عظمة من يدعو، ولا معنى ما يقول.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه».

رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه بعض أهل العلم.

فروح الدعاء ليست في كثرة الكلمات فقط، وإنما في صدق التوجه والافتقار إلى الله.



ثانيًا: الدعاء بغير فهم أو تدبر

قد يردد بعض الناس أدعية لا يعرفون معناها، أو يطلبون أمورًا قد لا تكون خيرًا لهم، أو يدعون بألفاظ غير مناسبة.

قال الله تعالى: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) [الإسراء: ١١].

فالعبد يحتاج إلى أن يسأل الله ما فيه الخير، وأن يوقن أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه.

ثالثًا: الاستعجال في إجابة الدعاء

من صور العشوائية أن يدعو الإنسان مرة أو مرات، ثم يترك الدعاء لأنه لم يرَ أثر الإجابة سريعًا.

قال النبي ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي.»

رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

فالداعي الصادق يثق بحكمة الله، ويعلم أن الإجابة تكون بأشكال متعددة؛ فقد يعطيه الله المطلوب، أو يدفع عنه ضررًا، أو يدخر له الأجر.

رابعًا: ترك الأخذ بالأسباب والاعتماد على الدعاء فقط

من الخطأ أن يجعل الإنسان الدعاء بديلاً عن العمل، فيترك السعي ثم ينتظر النتائج.

وقد قال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز.»

رواه مسلم (٢٦٦٤).

فالإسلام يجمع بين التوكل على الله وبذل الأسباب.

خامساً: الدعاء فيما لا يجوز

من صور العشوائية أن يدعو الإنسان بإثم أو قطيعة رحم أو ظلم للآخرين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم.»

رواه مسلم (٢٧٣٥).

فالدعاء عبادة، ولا تكون العبادة إلا بما يرضي الله تعالى.

سادساً: الغفلة عن أوقات وأحوال الإجابة

من صور العشوائية أن يهمل المسلم مواطن فضل الدعاء، وأوقات الرجاء، مع أن الشريعة

دلت على أوقات عظيمة يُرجى فيها القبول، ومنها:

☐ الثلث الأخير من الليل.

☐ السجود.

☐ بين الأذان والإقامة.

☐ يوم الجمعة.

☐ عند نزول الشدائد.



قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء.»

رواه مسلم (٤٨٢).

سابعًا: الاختصار على الدعاء عند الشدائد

من العشوائية أن يعرف الإنسان ربه وقت البلاء فقط، ثم ينساه عند الرخاء.

قال النبي ﷺ:

«تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.»

رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه.

فالمؤمن يدعو الله في السراء والضراء.

آثار العشوائية في الدعاء

من آثار هذه الظاهرة:

- ☐ ضعف الصلة بالله تعالى.
- ☐ قلة استشعار معنى العبادة.
- ☐ اليأس عند تأخر الإجابة.
- ☐ تعلق القلب بالأسباب ونسيان مسبب الأسباب.
- ☐ الوقوع في سوء الأدب مع الله تعالى.
- ☐ فقدان أثر الدعاء في إصلاح النفس.

علاج العشوائية في الدعاء

يمكن معالجة ذلك من خلال:

١. معرفة منزلة الدعاء وأنه عبادة عظيمة.
٢. حضور القلب واستشعار عظمة الله عند الدعاء.
٣. الدعاء بالأدعية الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٤. الجمع بين الدعاء والعمل والأخذ بالأسباب.
٥. الثقة بحكمة الله في الإجابة.
٦. اختيار الأوقات الفاضلة للدعاء.
٧. الدعاء في الرخاء كما يُدعى في الشدة.
٨. تجنب الدعاء بالإثم أو العدوان.

نماذج من أدعية القرآن

من أعظم ما يربي المسلم على الدعاء المنضبط الأدعية القرآنية ، ومنها:

دعاء آدم عليه السلام:

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣].

ودعاء عباد الرحمن:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: ٧٤].



ودعاء موسى عليه السلام:

(رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص: ٢٤].

إن الدعاء عبادة عظيمة لا تليق بها العشوائية أو الغفلة، بل تحتاج إلى علم بآدابها، وحضور قلب، وحسن ظن بالله، وأخذ بالأسباب. فالمؤمن لا يدعو ربه بلسان مجرد، ولا يستعجل الإجابة، ولا يطلب إلا ما فيه الخير، بل يقف بين يدي الله بقلب خاشع ونفس مطمئنة، عالماً أن الله أرحم به من نفسه، وأن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه.

وبذلك يتحول الدعاء من كلمات تُردد إلى عبادة تُصلح القلب، وتغير الواقع، وتربط العبد بربه في كل أحواله.

المبحث السادس عشر

العشوائية في طلب الرزق

طلب الرزق من سنن الله في خلقه، وقد أمر الله تعالى عباده بالسعي في الأرض، والأخذ بالأسباب، مع تعلق القلوب به سبحانه؛ فهو الرزاق وحده، وهو الذي يفتح أبواب الخير لمن شاء من عباده.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك: ١٥].

وقال سبحانه: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ) [العنكبوت: ١٧].

ومن صور العشوائية في طلب الرزق أن يسعى الإنسان بلا تخطيط، أو يدخل في أعمال لا يعرف أحكامها، أو يطلب المال من غير طريق مشروع، أو يعتمد على الأماني دون بذل الأسباب.

أولاً: طلب الرزق بلا تخطيط أو دراسة

من مظاهر العشوائية أن يدخل الإنسان في تجارة أو مشروع دون معرفة بالسوق، أو دراسة للتكاليف، أو تقدير للمخاطر، ثم يحمل الظروف مسؤولية الفشل.

والإسلام لا يمنع التجارة والسعي، لكنه يدعو إلى الحكمة وحسن التدبير.

قال تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) [النساء: ٥].

فالmaal يحتاج إلى حفظ وإدارة وحسن تصرف.



ثانيًا: طلب المال من غير الطرق المشروعة

من أخطر صور العشوائية أن يندفع الإنسان خلف المال دون النظر إلى مصدره، فيقع في الربا، أو الغش، أو أكل أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) [النساء: ٢٩].

وقال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا». رواه مسلم (١٠١٥).

فالمال الحلال سبب للبركة، والمال الحرام سبب لمحق الخير.

ثالثًا: الاعتماد على التمني دون عمل

من العشوائية أن يتمنى الإنسان الغنى والنجاح، لكنه لا يتعلم، ولا يعمل، ولا يطور نفسه، وينتظر تغير الأحوال دون سعي.

قال النبي ﷺ:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا.»

رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه.

فالطير خرجت تطلب الرزق، ولم تبقَ في أعشاشها.

رابعًا: كثرة الانتقال بين الأعمال بلا صبر

من صور العشوائية أن ينتقل الإنسان من مشروع إلى آخر، أو من عمل إلى آخر، دون تعلم أو اكتساب خبرة أو بناء خبرة متراكمة، فيبقى مشتتًا لا يحقق نجاحًا.

والنجاح غالبًا يحتاج إلى صبر، وتدرج، ومراجعة، واستمرار.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [التوبة: ١٢٠].

خامساً: إهمال تطوير المهارات

قد يطلب بعض الناس الرزق بالطرق القديمة فقط، ولا يسعى إلى تعلم مهارات جديدة أو مواكبة تغيرات العصر، مما يضعف قدرته على المنافسة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...»

رواه مسلم (٢٦٦٤).

والقوة تشمل قوة الإيمان والعلم والقدرة والأخذ بأسباب النجاح.

سادساً: سوء إدارة المال بعد الحصول عليه

العشوائية لا تكون في كسب المال فقط، بل في إنفاقه أيضاً، كالإسراف، أو عدم الادخار، أو الدخول في ديون بلا حاجة.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [الفرقان: ٦٧].

فالإسلام يدعو إلى الاعتدال وحسن التدبير.

سابعاً: نسيان أن الرزق بيد الله

من صور العشوائية أن يتعلق القلب بالأسباب وينسى مسبب الأسباب، فيظن أن المال يأتي من ذكائه وحده أو قدرته فقط.

قال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: ٦].

فالمؤمن يأخذ بالأسباب، لكن قلبه متعلق بالله تعالى.



آثار العشوائية في طلب الرزق

تؤدي العشوائية في طلب الرزق إلى:

- ☐ الخسائر المالية.
- ☐ الوقوع في الديون.
- ☐ الدخول في أعمال محرمة.
- ☐ ضياع الجهد والوقت.
- ☐ القلق المستمر بسبب سوء التخطيط.
- ☐ ضعف البركة في المال.
- ☐ كثرة التنقل دون استقرار.

علاج العشوائية في طلب الرزق

يمكن معالجة ذلك من خلال:

١. استحضار أن الرزق بيد الله تعالى.
٢. طلب الرزق من الحلال والبعد عن الشبهات.
٣. دراسة المشاريع قبل الدخول فيها.
٤. تعلم المهارات النافعة وتطوير القدرات.
٥. الصبر والاستمرار وعدم التسرع.

٦. تنظيم الدخل والمصروفات والادخار.

٧. الجمع بين الدعاء والتوكل والعمل.

٨. استشارة أهل الخبرة في الأمور المهمة.

نماذج قرآنية في حسن السعي للرزق

□ قصة يوسف عليه السلام في إدارة اقتصاد مصر، حيث جمع بين العلم والتخطيط والأمانة :

(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف : ٥٥].

□ وقصة ذي القرنين الذي أخذ بالأسباب وأحسن إدارة الإمكانيات :

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) [الكهف : ٨٤].

فهذه النماذج تؤكد أن النجاح في الدنيا يحتاج إلى إيمان وتخطيط وعمل.

إن الرزق في الإسلام يقوم على ميزان دقيق: قلب متعلق بالله، وجوارح تعمل وتأخذ بالأسباب. أما العشوائية في طلب الرزق فإنها توقع الإنسان في الفوضى والخسائر وربما الحرام، بينما النظام والتخطيط والإتقان أسباب للبركة والنجاح.

فالمسلم الناجح لا ينتظر الرزق بلا عمل، ولا يعمل بلا توكل، بل يسعى سعيًا منظمًا، ويستعين بالله، ويوقن أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وأن الرزق بيده سبحانه، قال تعالى :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [الطلاق : ٢-٣].



المبحث السابع عشر

العشوائية في تربية الأطفال

تربية الأطفال من أعظم المسؤوليات التي أوجبها الله تعالى على الوالدين، فهي ليست مجرد رعاية جسدية أو توفير حاجات مادية، بل هي بناء للإنسان في عقيدته وأخلاقه وشخصيته وسلوكه. والطفل في سنواته الأولى كالغرس الصغير، يتأثر بما يحيط به، ويكتسب كثيراً من عاداته وقيمه من أسرته وبيئته.

ومن هنا كانت التربية بحاجة إلى علم، وصبر، وتخطيط، وقدوة حسنة، أما ترك الأطفال للنمو بلا توجيه أو متابعة فهو من صور العشوائية التي قد تترك آثاراً عميقة في شخصياتهم ومستقبلهم.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) [التحريم: ٦].

ففي الآية أمر بحماية الأهل، ومن أعظم صور الحماية: التربية والتوجيه والتعليم.

أولاً: ترك الطفل دون توجيه

من أبرز صور العشوائية أن يترك الوالدان الطفل يتصرف كيف يشاء دون بيان للصواب والخطأ، أو دون غرس للقيم والآداب، فينشأ متأثراً بما يراه حوله دون معيار واضح.

قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.»

رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

فالطفل أمانة، والوالدان مسؤولان عن توجيهه ورعايته.

ثانيًا: التناقض في أسلوب التربية

من صور العشوائية أن يتعامل الوالدان مع الخطأ أحيانًا بالتشديد المفرط، وأحيانًا بالتساهل الكامل، دون قاعدة تربوية ثابتة، فيحتار الطفل ولا يعرف الحدود الصحيحة للسلوك.

والتربية الناجحة تقوم على التوازن بين الرحمة والحزم.

قال الله تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقُلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩].

فالرفق من أعظم وسائل التأثير.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.»

رواه مسلم (٢٥٩٤).

ثالثًا: إهمال تعليم الطفل الدين والأخلاق

قد يهتم بعض الآباء بذكاء الطفل ودراسته، ويغفلون عن بناء قلبه وسلوكه، فلا يُعَلِّم الصلاة، ولا الصدق، ولا الأمانة، ولا احترام الآخرين.

قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه: ١٣٢].

وقال لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [لقمان: ١٧].

رابعًا: الاعتماد على الأجهزة بدل التربية

من مظاهر العشوائية أن تُترك تربية الطفل للأجهزة الإلكترونية، فيصبح الهاتف أو التلفاز هو المعلم الأول، دون رقابة أو توجيه لما يشاهده الطفل.



ولا شك أن التقنية قد تكون نافعة إذا أحسن استخدامها، لكنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن دور الأسرة.

قال النبي ﷺ: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع.»

رواه النسائي (٢٩٢).

خامساً: إهمال الحوار مع الطفل

يحتاج الطفل إلى من يسمعه، ويفهم مشاعره، ويجيبه عن أسئلته، أما تجاهل أسئلته أو إسكات حديثه دائماً فقد يضعف ثقته بنفسه، ويدفعه إلى البحث عن مصادر أخرى للتوجيه.

وقد كان النبي ﷺ يخاطب الصغار، ويعلمهم، ويلطفهم، ويصحح أخطاءهم بالحكمة.

ومن ذلك قوله ﷺ للغلام:

«يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك.»

رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

سادساً: المقارنة بين الأطفال

من صور العشوائية أن يقارن الوالدان طفلاً بغيره بصورة مستمرة، مما قد يولد الحسد أو ضعف الثقة أو الشعور بالنقص.

والتربية الإسلامية تنظر إلى كل طفل بقدراته وخصائصه، وتسعى إلى تنمية الخير الموجود فيه.

سابعاً: غياب القدوة الصالحة

الطفل يتعلم من أفعال والديه أكثر مما يتعلم من أقوالهما، فإذا رأى الصدق تعلم الصدق، وإذا رأى الاحترام تعلم الاحترام.

قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١].

فالقدوة العملية أساس التربية الناجحة.

آثار العشوائية في تربية الأطفال "تؤدي العشوائية في التربية إلى آثار كثيرة، منها:

☐ ضعف الشخصية والثقة بالنفس.

☐ اضطراب السلوك.

☐ ضعف الانضباط وتحمل المسؤولية.

☐ سهولة التأثر بالبيئة الخارجية.

☐ ضعف الارتباط بالقيم الدينية والأخلاقية.

☐ كثرة المشكلات السلوكية في المستقبل.

علاج العشوائية في تربية الأطفال "ويمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. وضع منهج تربوي واضح يناسب عمر الطفل.

٢. الجمع بين الرحمة والحزم.

٣. تعليم الطفل العقيدة والعبادة والأخلاق منذ الصغر.

٤. تخصيص وقت للحوار واللعب والتعليم.



٥. متابعة ما يشاهده الطفل وما يقرأه.

٦. تقديم القدوة الصالحة قبل كثرة الأوامر.

٧. الدعاء للأبناء بالصالح والهداية.

نماذج نبوية في تربية الأطفال

كان النبي ﷺ أعظم مربٍّ، فقد كان:

☐ يرحم الأطفال ويلطفهم.

☐ يصحح أخطاءهم برفق.

☐ يعلمهم الآداب بأسلوب قريب إلى نفوسهم.

قال ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم.»

رواه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

إن الطفل لا يحتاج إلى كثرة الأوامر بقدر حاجته إلى التربية الواعية، والقدوة الحسنة، والحوار، والمتابعة. والعشوائية في تربية الأطفال قد تترك آثاراً تمتد إلى مستقبلهم، بينما التربية القائمة على منهج الإسلام تبني إنساناً صالحاً، قوي الشخصية، حسن الخلق، نافعاً لنفسه وأمته.

فصلاح الأبناء ثمرة غرس الوالدين، وكلما كان الغرس قائماً على العلم والنظام والإحسان، كان الحصاد بإذن الله خيراً وبركة.

المبحث الثامن عشر

العشوائية في المزاح

المزاح من الأمور المباحة في الإسلام إذا انضبط بالصدق، وحسن الخلق، ومراعاة مشاعر الآخرين، وقد كان النبي ﷺ يمزح مع أصحابه وأهله، لكنه لم يكن يقول إلا حقاً، ولم يكن يجعل المزاح سبباً للأذى أو السخرية أو تضييع الحقوق.

ومن صور العشوائية التي تنتشر بين الناس أن يتحول المزاح من وسيلة لإدخال السرور إلى سبب للجرح والإهانة، أو الكذب، أو التنمر، أو تجاوز حدود الأدب، حتى يترك آثاراً سلبية في العلاقات الاجتماعية.

أولاً: المزاح بالكذب

من أخطر صور العشوائية في المزاح أن يختلق الإنسان الأخبار أو القصص أو المواقف لإضحاك الآخرين، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

قال عليه وسلم: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له.»

رواه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، وحسنه.

فالإضحاك لا يكون بطريق الكذب؛ لأن المسلم يحافظ على صدقه في الجد والمزاح.

ثانياً: المزاح الذي يؤدي الآخرين

قد يظن بعض الناس أن كل ما يضحك جائر، فيسخر من شكل إنسان، أو عائلته، أو أخطائه، أو ظروفه، غير مدرك أن الكلمة قد تترك أثراً مؤلماً.



قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) [الحجرات: ١١].

فالإسلام يحفظ كرامة الإنسان، ولا يجعل الضحك سبباً للإهانة.

ثالثاً: الإفراط في المزاح

من صور العشوائية أن يصبح المزاح هو الأصل في حياة الإنسان، فيكثر منه حتى يضيع هيئته، أو يقصر في واجباته، أو يفقد الجدية في المواقف التي تحتاج إلى مسؤولية.

وقد قيل عن بعض السلف:

”لكل شيء طرفان ووسط، فخير الأمور أوسطها.“

فالمؤمن يجمع بين البشاشة والجدية.

رابعاً: المزاح في غير موضعه

من العشوائية إطلاق المزاح في المواقف التي تحتاج إلى احترام أو مواساة أو جدية، كوقت الحزن، أو عند الحديث في أمور مهمة، أو أمام من لا يناسبه ذلك.

قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: ٦٣].

فمن الحكمة معرفة الأحوال ومراعاة المقامات.

خامساً: المزاح الذي يوقع في الخصومات

قد يبدأ الأمر بمزحة، ثم تتحول إلى غضب أو خصومة بسبب كلمة جارحة أو تجاوز غير محسوب.

قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

فاللسان مسئولية، سواء في الجد أو المزاح.

سادساً: المزاح في وسائل التواصل الاجتماعي

ظهرت صور جديدة من المزاح في العصر الحديث، مثل نشر المقاطع المخرجة للآخرين، أو السخرية منهم أمام الناس، أو صناعة المحتوى القائم على الإهانة، وهذا مناقض لأخلاق الإسلام.

قال تعالى: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ) [الحجرات: ١١].

فاحترام الناس واجب في الواقع والفضاء الإلكتروني.

نماذج من مزاح النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، ومن ذلك ما ورد أن رجلاً طلب من النبي

ﷺ أن يحمله، فقال له ﷺ: «إنا حاملوك على ولد الناقة».

فقال الرجل: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟»

رواه أبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩٠).



فكان مزاحه عليه وسلم قائماً على اللطف والصدق.

آثار العشوائية في المزاح

من آثار المزاح غير المنضبط:

- ☐ جرح مشاعر الآخرين.
- ☐ انتشار السخرية والتنمر.
- ☐ سقوط الهيبة والاحترام.
- ☐ كثرة الخصومات.
- ☐ التعود على الكذب.
- ☐ ضعف الجدية وتحمل المسؤولية.

علاج العشوائية في المزاح

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال:

١. الالتزام بالصدق في المزاح.
٢. عدم السخرية من الآخرين أو إيذائهم.
٣. معرفة الوقت والمكان المناسب للمزاح.
٤. تجنب المزاح المفرط الذي يضيع الحقوق.
٥. مراعاة اختلاف الناس في تقبل المزاح.

٦. جعل المزاح وسيلة للمحبة لا للإهانة.

٧. الاقتداء بهدي النبي ﷺ في المزاح.

إن المزاح في الإسلام باب من أبواب الألفة وإدخال السرور، لكنه يحتاج إلى ميزان يضبطه؛ فليس كل ما يضحك الناس جائزاً، ولا كل ما يخفف الأجواء مقبولاً. والعشوائية في المزاح تحول النعمة إلى نقمة، فتفسد القلوب وتقطع العلاقات.

أما المزاح المنضبط بأدب الإسلام فإنه يزيد المحبة، ويقوي الروابط، ويجعل المسلم محبوباً بين الناس، لأنه يجمع بين طلاقة الوجه، وحسن الخلق، وصيانة الكرامة.



المبحث التاسع عشر

العشوائية في الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله تعالى رسالة عظيمة وشرف كبير، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة ليست مجرد حماس أو رغبة في الإصلاح، بل هي علم ومنهج وحكمة ومعرفة بأحوال الناس وطبائعهم. ومن هنا كانت العشوائية في الدعوة من أسباب النفور عن الحق، وسوء الفهم، وربما تنفير الناس من الخير بسبب الأسلوب الخاطئ.

ومن صور العشوائية في الدعوة أن يتكلم الإنسان في الدين بلا علم، أو يخاطب الناس بطريقة لا تناسب أحوالهم، أو يركز على جانب واحد ويهمل جوانب أخرى، أو يجعل الدعوة قائمة على الشدة والجدال بدل الرحمة والحكمة.

أولاً: الدعوة بلا علم

من أخطر صور العشوائية أن يتصدر الإنسان للدعوة وهو يجهل ما يدعو إليه، فينقل معلومات غير صحيحة، أو يفتي بغير علم، أو يسيء فهم النصوص.

قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣].

وقال سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].

فالحكمة لا تتحقق إلا مع العلم والبصيرة.

ثانيًا: غياب الحكمة في مخاطبة الناس

من صور العشوائية أن يخاطب الداعية جميع الناس بأسلوب واحد، دون مراعاة اختلاف أعمارهم، وثقافتهم، وظروفهم، ومستوى فهمهم.

وقد قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: ٤].

فمن الحكمة أن يخاطب الإنسان الناس بما يفهمون، وبالأسلوب الذي يقربهم من الحق.

وقال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن:

«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...»

رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

فوجهه إلى مراعاة حال المدعوين وترتيب الأولويات.

ثالثًا: الشدة والغلظة في الدعوة

قد يظن بعض الناس أن القسوة والشدة دليل على قوة الحق، بينما كان منهج النبي ﷺ قائمًا على الرحمة والرفق.

قال الله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩].

وقال النبي ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله.»

رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

فالرفق ليس ضعفًا، بل هو من أعظم وسائل نجاح الدعوة.



رابعاً: عدم مراعاة أحوال المدعويين

الناس يختلفون في العلم، والبيئة، والقدرة على التغيير، ولذلك فإن الحكمة تقتضي معرفة حال الشخص قبل توجيهه.

فليس من الصواب أن يعامل المبتدئ في الدين كمعاملة العالم، أو أن تقدم مسائل الخلاف قبل أصول الإيمان، أو أن تُحمّل النفوس ما لا تحتمل.

قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا.»

رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

خامساً: الانشغال بالجدال بدل البيان

من صور العشوائية أن تتحول الدعوة إلى خصومات ومجادلات، فينشغل الداعية بإثبات نفسه أو الرد على الآخرين أكثر من نشر الهداية.

قال الله تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].

فالمقصود من الحوار الوصول إلى الحق، لا الانتصار للنفس.

سادساً: إهمال الأولويات في الدعوة

من العشوائية أن يركز الداعية على مسائل فرعية، ويترك الأصول الكبرى، أو يهتم بالمظاهر ويغفل عن إصلاح القلوب والعقائد والأخلاق.

وقد كان النبي ﷺ يبدأ بالدعوة إلى التوحيد قبل سائر الأحكام.

قال عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...»

رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

سابعاً: الدعوة دون قدوة صالحة

من أسباب ضعف أثر الدعوة أن يقول الإنسان ما لا يعمل به، فيرى الناس تناقضاً بين كلامه وسلوكه.

قال الله تعالى: (اتَّبِعُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) [البقرة: ٤٤].

فالقُدوة العملية من أقوى وسائل التأثير.

آثار العشوائية في الدعوة إلى الله

تؤدي العشوائية في الدعوة إلى:

- ☐ تنفير الناس من الخير.
- ☐ انتشار الفهم الخاطئ للدين.
- ☐ زيادة الخصومات والانقسامات.
- ☐ تقديم صورة غير صحيحة عن الإسلام.
- ☐ ضعف ثقة الناس بالدعاة.
- ☐ الانشغال بالقضايا الثانوية عن الأصول المهمة.



علاج العشوائية في الدعوة

يمكن علاج هذه الظاهرة من خلال :

١. التزود بالعلم الشرعي قبل التصدر للدعوة.
٢. الإخلاص لله تعالى وتجريد القصد.
٣. الاقتداء بمنهج النبي ﷺ في الدعوة.
٤. مخاطبة الناس بالحكمة والرحمة.
٥. معرفة أحوال المدعوين ومستوياتهم.
٦. ترتيب الأولويات في التعليم والإصلاح.
٧. الجمع بين العلم والعمل والخلق الحسن.
٨. التعاون مع أهل العلم والخبرة.

نماذج نبوية في الدعوة الحكيمة

من أعظم النماذج دعوة النبي ﷺ ، فقد كان :

- ☐ يختار الوقت المناسب للكلام.
- ☐ يراعي أحوال الناس.
- ☐ يقدم الأهم فالأهم.
- ☐ يجمع بين الرحمة والبيان.

□ يصبر على الأذى.

ومن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فلم يعنفه النبي ﷺ، بل علمه برفق، فكان ذلك سبباً في تعليمه وقربه من الإسلام.

إن الدعوة إلى الله تعالى عبادة عظيمة لا تنجح بالعشوائية، وإنما تقوم على العلم والحكمة والرحمة ومعرفة أحوال الناس. فالداعية الناجح ليس من يكثر الكلام فقط، بل من يحسن اختيار الكلمة، والوقت، والأسلوب، ويقدم للناس دين الله كما جاء رحمة وهداية وإصلاحاً.

وكلما التزمت الدعوة بالنظام والمنهج، كانت أقرب إلى هدي الأنبياء، وأكثر تأثيراً في القلوب، قال تعالى:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].



العشوائية في علاج الخلافات الزوجية

الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة، لكنها لا تخلو من اختلاف في الطباع، وتفاوت في وجهات النظر، وتباين في الرغبات، وهذا أمر طبيعي في حياة البشر. وقد وضع الإسلام منهجاً حكيماً لإدارة هذه الخلافات، يقوم على الصبر، والحوار، والإصلاح، وحفظ الحقوق.

قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: ٢١].

لكن من صور العشوائية أن تُعالج الخلافات الزوجية بالغضب والانفعال، أو بإفشاء الأسرار، أو بالتهديد والانتقام، أو بإدخال الآخرين قبل الحاجة، مما يزيد المشكلة بدل حلها.

أولاً: معالجة الخلاف بالغضب والانفعال

من أخطر صور العشوائية أن يجعل الإنسان غضبه قائداً له، فيصدر منه كلام يندم عليه، أو قرارات لا تعبر عن حقيقة موقفه.

وقد مدح النبي ﷺ من يملك نفسه عند الغضب فقال:

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.»

رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

فالحكمة تقتضي تأجيل النقاش عند اشتداد الغضب حتى تهدأ النفوس.

ثانيًا: تضخيم المشكلات الصغيرة

من العشوائية أن تتحول الأخطاء البسيطة إلى قضايا كبيرة، أو أن يُستحضر تاريخ طويل من الأخطاء عند كل خلاف.

قال الله تعالى: (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة: ٢٣٧].

فاستحضر الإيجابيات والفضل السابق يساعد على تجاوز الزلات.

ثالثًا: إفشاء أسرار الحياة الزوجية

من الأخطاء الشائعة نشر تفاصيل الخلافات بين الزوجين للأصدقاء أو الأقارب دون حاجة، مما يزيد التوتر ويؤثر في الثقة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.»

رواه مسلم (١٤٣٧).

فالحياة الزوجية لها حرمة، ولا تُعرض مشكلاتها أمام الناس إلا عند الحاجة للإصلاح.

رابعًا: غياب الحوار الهادئ

من العشوائية أن يتحول النقاش بين الزوجين إلى اتهامات وصراخ، بدل البحث عن سبب المشكلة وطريقة علاجها.

قال الله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].

والزوجان أولى الناس بحسن الكلام ولين الخطاب.



خامساً: تدخل الآخرين بلا ضوابط

قد يكون تدخل الأسرة أو أهل الخبرة سبباً في الإصلاح إذا كان بحكمة، لكنه قد يزيد المشكلة إذا كان بدافع التعصب أو نقل الكلام.

وقد أرشد القرآن عند اشتداد النزاع إلى منهج منظم للإصلاح:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء: ٣٥].

فالتدخل يكون للإصلاح لا للانحياز.

سادساً: استخدام الطلاق كوسيلة للضغط

من صور العشوائية التسرع في التهديد بالطلاق عند كل خلاف، أو استعماله لإخضاع الطرف الآخر، مما يهدد استقرار الأسرة.

والطلاق في الإسلام علاج عند تعذر الإصلاح، وليس أول خطوة عند كل مشكلة.

قال الله تعالى: (فَأَمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: ٢٢٩].

سابعاً: إهمال معرفة أسباب الخلاف

من العشوائية معالجة الظاهر دون البحث عن السبب الحقيقي، فقد يكون الخلاف بسبب ضغط نفسي، أو سوء فهم، أو تقصير في الحقوق، أو ضعف في التواصل.

والعلاج الناجح يبدأ بفهم المشكلة قبل إصدار الأحكام.

آثار العشوائية في علاج الخلافات الزوجية

من آثارها :

- ☐ زيادة التوتر بين الزوجين.
- ☐ فقدان الثقة والمودة.
- ☐ تدخل الآخرين بصورة سلبية.
- ☐ تأثر الأبناء بالخلافات.
- ☐ تراكم المشكلات حتى تصل إلى الانفصال.
- ☐ تحول البيت من مكان للسكن إلى بيئة للصراع.

علاج العشوائية في الخلافات الزوجية

يمكن علاج ذلك من خلال :

١. ضبط النفس عند الغضب.
٢. اختيار الوقت المناسب للحوار.
٣. الاستماع للطرف الآخر وفهم وجهة نظره.
٤. البحث عن الحل لا عن إثبات الخطأ.
٥. حفظ الأسرار الزوجية.



٦. تقديم التنازل عند الحاجة حفاظاً على الأسرة.

٧. الرجوع إلى أهل الحكمة والإصلاح عند تعقد المشكلة.

٨. استحضار مراقبة الله تعالى في التعامل.

نماذج من الهدى النبوي في الحياة الزوجية

كان النبي ﷺ نموذجاً في حسن المعاشرة، فقد قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». رواه الترمذي (٣٨٩٥).

فخير الناس ليس من لا تقع منه مشكلة، وإنما من يحسن التعامل عند وقوعها.

إن الخلافات الزوجية أمر لا يخلو منه بيت، لكن الفرق بين الأسرة المستقرة وغيرها هو طريقة التعامل مع الخلاف. فالعشوائية تجعل المشكلة تكبر، أما الحكمة والحوار والصبر فتجعل الخلاف باباً للفهم والإصلاح.

والأسرة المسلمة الناجحة هي التي تدير اختلافاتها بمنهج الإسلام، فتحفظ المودة، وتصون الكرامة، وتجعل بيتها قائماً على الرحمة لا على الفوضى والانفعال.

المبحث الحادي والعشرون

العشوائية في حل النزاعات

الاختلاف بين الناس أمر واقع بحكم طبيعة البشر وتفاوت أفهامهم ومصالحهم، وقد جعل الإسلام منهجاً متكاملًا لإدارة النزاعات يقوم على العدل، وسماع الأطراف، والتحقق من الحقائق، والإصلاح بين المتخاصمين.

قال الله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا) [الحجرات: ٩].

فالأصل عند وقوع النزاع ليس زيادة الخصومة، وإنما السعي إلى الإصلاح ورد الحقوق. ومن صور العشوائية في حل النزاعات: إصدار الأحكام قبل معرفة الحقيقة، والانحياز لطرف دون سماع الآخر، والاعتماد على الشائعات، واستخدام القوة أو الإهانة بدل الحوار والحكمة.

أولاً: الحكم قبل التثبت من الحقيقة

من أخطر صور العشوائية أن يبني الإنسان موقفه على السماع أو الظن دون تحقق، فيظلم شخصاً أو يقطع علاقة أو يصدر حكماً غير عادل.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦].

فالتثبت أصل في التعامل مع الأخبار والمواقف.



ثانيًا: الاستماع إلى طرف واحد

من العشوائية إصدار الحكم بناءً على رواية طرف واحد، دون سماع الطرف الآخر، أو معرفة الملابسات.

قال الله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [النساء: ٥٨].

والعدل لا يتحقق إلا بمعرفة جوانب القضية كاملة.

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للقاضي شريح:

”إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول.“

وهذا من أصول القضاء العادل.

ثالثًا: جعل الغضب قائدًا في النزاع

قد يؤدي الغضب إلى قرارات متسرعة، أو كلمات جارحة، أو قطع للعلاقات لا يمكن إصلاحها بسهولة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان.»

رواه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

وإذا كان النهي عن القضاء حال الغضب، فإن كل إصلاح بين الناس أولى بأن يكون بعيدًا عن الانفعال.

رابعاً: تحويل النزاع إلى انتقام

من صور العشوائية أن يتحول الخلاف من بحث عن الحق إلى رغبة في الإضرار بالطرف الآخر، أو التشهير به، أو إذلاله.

قال الله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: ٨].

فالعُدو أو المخالف لا يبرر الظلم.

خامساً: نشر النزاع أمام الناس

من العشوائية نقل الخصومات إلى المجالس أو وسائل التواصل الاجتماعي، مما يزيد المشكلة ويصعب الإصلاح.

قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.»

رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

فالقوة الحقيقية في ضبط النفس وحسن التصرف.

سادساً: إهمال الصلح والإصلاح

قد يستمر بعض الناس في الخصومة مع قدرتهم على الإصلاح، بسبب الكبرياء أو حب الانتصار.

وقد قال الله تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) [النساء: ١٢٨].



وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين...»

رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩).

سابعاً: غياب المرجعية الحكيمة

من صور العشوائية أن تُترك النزاعات لمن لا يملك العلم والخبرة، أو لمن يزيد النار اشتعالاً بسبب التعصب.

والإسلام يرشد إلى الرجوع إلى أهل الحكمة والاختصاص عند الحاجة.

قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

آثار العشوائية في حل النزاعات

تؤدي إلى:

- ☐ ظلم الأبرياء.
- ☐ قطع العلاقات والروابط.
- ☐ انتشار البغضاء والكراهية.
- ☐ ضياع الحقوق.
- ☐ تفكك الأسرة والمجتمع.
- ☐ زيادة النزاعات بدل إنهاؤها.

علاج العشوائية في حل النزاعات

يمكن علاجها من خلال:

١. التثبت قبل إصدار الأحكام.
٢. سماع جميع الأطراف.
٣. التحلي بالعدل والإنصاف.
٤. ضبط الغضب والانفعال.
٥. تقديم الإصلاح على الانتقام.
٦. الاستعانة بأهل الحكمة والخبرة.
٧. البحث عن حلول تحفظ الحقوق وتمنع استمرار الخصومة.
٨. استحضار مراقبة الله تعالى في كل حكم وموقف.

نماذج قرآنية في حل النزاعات

من أعظم النماذج قصة يوسف عليه السلام، فقد قابل إساءة إخوته بالعفو والإحسان، فقال:

(لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف: ٩٢].

وكذلك منهج النبي ﷺ في الإصلاح بين الناس، فقد كان يسعى إلى جمع القلوب وإزالة أسباب الفرقة.



المبحث الثاني والعشرون

العشوائية في تقديم النصائح

النصيحة من أعظم أخلاق الإسلام، وهي دليل على المحبة والرحمة والحرص على الخير، وقد جعلها النبي ﷺ من أصول الدين، فقال: «الدين النصيحة.»

قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.»

رواه مسلم (٥٥).

لكن النصيحة ليست مجرد كلام يقال، وإنما هي علم وأمانة وحكمة، تحتاج إلى معرفة حال المنصوح، واختيار الوقت المناسب، واستعمال الأسلوب الذي يحقق المقصود.

ومن صور العشوائية في تقديم النصائح أن ينصح الإنسان في كل شيء بلا علم، أو يوجه النصيحة أمام الناس على سبيل الإحراج، أو يكثر من الوعظ دون مراعاة للظروف، أو يجعل نصيحته قائمة على النقد لا على الإصلاح.

أولاً: تقديم النصيحة بلا علم

من أخطر صور العشوائية أن يتكلم الإنسان في أمور لا يعرفها، فيعطي توجيهات قد تكون خاطئة أو مضرّة.

قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

فالنصيحة مسؤولية، ولا يجوز أن تكون مبنية على الظنون أو التجارب المحدودة فقط.

ثانيًا: عدم معرفة حال المنصوح

من الحكمة أن يعرف الإنسان من ينصحه، وما ظروفه، وما قدرته على التغيير؛ لأن النصيحة التي تناسب شخصًا قد لا تناسب غيره.

وقد كان النبي ﷺ يراعي أحوال أصحابه، فيعطي كل واحد ما يناسبه من التوجيه.

قال معاذ رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السامة علينا."

رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١).

أي كان يختار الوقت المناسب حتى لا تمل النفوس.

ثالثًا: النصيحة أمام الآخرين

من صور العشوائية أن تُقدم النصيحة بطريقة تجرح كرامة الإنسان أو تفضحه أمام الناس، فيتحول الأمر من إصلاح إلى إحراج.

قال الشافعي رحمه الله:

"من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه."

وهذا من المعاني المشهورة في باب النصيحة.

فالأصل أن تكون النصيحة بلطف وسرية ما أمكن.

رابعًا: كثرة النصائح دون عمل

من العشوائية أن يكثر الإنسان من توجيه الآخرين، وينسى إصلاح نفسه.



قال الله تعالى: (اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) [البقرة: ٤٤].

فالنصيحة المؤثرة تبدأ من القدوة.

خامساً: استخدام القسوة بدل الرحمة

قد يقدم بعض الناس النصيحة بأسلوب شديد أو جارج، فينفر المنصوح بدل أن ينتفع.

قال الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.»

رواه مسلم (٢٥٩٤).

فالرفق مفتاح قبول النصيحة.

سادساً: تحويل النصيحة إلى انتقاد أو تعيير

النصيحة الصادقة تهدف إلى الإصلاح، أما العتاب الجارج أو التشهير فهو ليس من النصيحة.

قال النبي ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن.»

رواه أبو داود (٤٩١٨).

فالمرآة تُظهر العيب بلطف لكي يُعالج، لا لكي تُهين صاحبها.

سابعاً: إهمال اختيار الوقت المناسب

من العشوائية تقديم النصيحة في وقت الغضب، أو الحزن الشديد، أو أمام من لا يستطيع تقبلها.

ومن الحكمة أن ينتظر الناصح الوقت الذي يكون فيه القلب أقرب إلى القبول.

آثار العشوائية في تقديم النصائح

تؤدي إلى:

- ☐ رفض النصيحة ولو كانت صحيحة.
- ☐ حدوث النفور والخصومة.
- ☐ جرح المشاعر.
- ☐ ضعف الثقة بين الناس.
- ☐ تحول النصيحة إلى وسيلة للسيطرة أو النقد.

علاج العشوائية في تقديم النصائح

يمكن علاج ذلك من خلال:

١. التأكد من صحة ما يُنصح به.
٢. الإخلاص وقصد الإصلاح لا الانتصار.
٣. معرفة حال الشخص قبل نصحه.
٤. اختيار الوقت والمكان المناسبين.



٥. استخدام الحكمة واللين.

٦. تقديم النصيحة سرًا قدر الإمكان.

٧. أن يكون الناصح قدوة فيما يقول.

٨. الجمع بين بيان الخطأ وفتح باب الأمل والإصلاح.

نماذج من النصيحة النبوية

كان النبي ﷺ أعظم الناس نصحاء، ومع ذلك كان يختار أحسن الأساليب، ومن ذلك نصحه للشاب الذي جاء يستأذنه في أمر محرم، فلم يعنفه، بل حاوره وذكر له ما يقربه إلى الخير.

فكان أسلوبه ﷺ يجمع بين العلم والرحمة والحكمة.

إن النصيحة من أعظم أبواب الإصلاح، لكنها تحتاج إلى فقه وحكمة، فليست كل كلمة تقال نصيحة، وليس كل وقت مناسبًا للكلام. والعشوائية في تقديم النصائح قد تفسد المقصود وتغلق القلوب، أما النصيحة القائمة على العلم والرحمة وحسن الأسلوب فإنها تفتح أبواب الخير، وتقوي روابط المحبة بين الناس.

فالمؤمن الناصح يجمع بين صدق المحبة، وحسن الكلمة، وحكمة الأسلوب، اقتداءً بقول الله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].

المبحث الثاني والعشرون

العشوائية في تقديم النصائح

النصيحة من أعظم أخلاق الإسلام، وهي دليل على المحبة والرحمة والحرص على الخير، وقد جعلها النبي ﷺ من أصول الدين، فقال:

«الدين النصيحة.»

قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.»

رواه مسلم (٥٥).

لكن النصيحة ليست مجرد كلام يقال، وإنما هي علم وأمانة وحكمة، تحتاج إلى معرفة حال المنصوح، واختيار الوقت المناسب، واستعمال الأسلوب الذي يحقق المقصود.

ومن صور العشوائية في تقديم النصائح أن ينصح الإنسان في كل شيء بلا علم، أو يوجه النصيحة أمام الناس على سبيل الإحراج، أو يكثر من الوعظ دون مراعاة للظروف، أو يجعل نصيحته قائمة على النقد لا على الإصلاح.

أولاً: تقديم النصيحة بلا علم

من أخطر صور العشوائية أن يتكلم الإنسان في أمور لا يعرفها، فيعطي توجيهات قد تكون خاطئة أو مضرّة.

قال الله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].



فالنصيحة مسؤولية، ولا يجوز أن تكون مبنية على الظنون أو التجارب المحدودة فقط.

ثانيًا: عدم معرفة حال المنصوح

من الحكمة أن يعرف الإنسان من ينصحه، وما ظروفه، وما قدرته على التغيير؛ لأن النصيحة التي تناسب شخصًا قد لا تناسب غيره.

وقد كان النبي ﷺ يراعي أحوال أصحابه، فيعطي كل واحد ما يناسبه من التوجيه.

قال معاذ رضي الله عنه :

”كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السأمة علينا.“

رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١).

أي كان يختار الوقت المناسب حتى لا تمل النفوس.

ثالثًا: النصيحة أمام الآخرين

من صور العشوائية أن تُقدم النصيحة بطريقة تجرح كرامة الإنسان أو تفضحه أمام الناس، فيتحول الأمر من إصلاح إلى إحراج.

قال الشافعي رحمه الله :

”من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.“

وهذا من المعاني المشهورة في باب النصيحة.

فالأصل أن تكون النصيحة بلطف وسرية ما أمكن.

رابعًا: كثرة النصائح دون عمل

من العشوائية أن يكثر الإنسان من توجيه الآخرين، وينسى إصلاح نفسه.

قال الله تعالى:

(اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) [البقرة: ٤٤].

فالنصيحة المؤثرة تبدأ من القدوة.

خامسًا: استخدام القسوة بدل الرحمة

قد يقدم بعض الناس النصيحة بأسلوب شديد أو جارج، فينفر المنصوح بدل أن ينتفع.

قال الله تعالى:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ:

«ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.» رواه مسلم (٢٥٩٤).

فالرفق مفتاح قبول النصيحة.

سادسًا: تحويل النصيحة إلى انتقاد أو تعيير

النصيحة الصادقة تهدف إلى الإصلاح، أما العتاب الجارج أو التشهير فهو ليس من النصيحة.

قال النبي ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن.» رواه أبو داود (٤٩١٨).

فالمرآة تظهر العيب بلطف لكي يُعالج، لا لكي تُهين صاحبها.



سابعاً: إهمال اختيار الوقت المناسب

من العشوائية تقديم النصيحة في وقت الغضب، أو الحزن الشديد، أو أمام من لا يستطيع تقبلها.

ومن الحكمة أن ينتظر الناصح الوقت الذي يكون فيه القلب أقرب إلى القبول.

آثار العشوائية في تقديم النصائح

تؤدي إلى:

- ☐ رفض النصيحة ولو كانت صحيحة.
- ☐ حدوث النفور والخصومة.
- ☐ جرح المشاعر.
- ☐ ضعف الثقة بين الناس.
- ☐ تحول النصيحة إلى وسيلة للسيطرة أو النقد.

علاج العشوائية في تقديم النصائح

يمكن علاج ذلك من خلال:

١. التأكد من صحة ما يُنصح به.
٢. الإخلاص وقصد الإصلاح لا الانتصار.
٣. معرفة حال الشخص قبل نصحه.
٤. اختيار الوقت والمكان المناسبين.

٥. استخدام الحكمة واللين.
٦. تقديم النصيحة سرًا قدر الإمكان.
٧. أن يكون الناصح قدوة فيما يقول.
٨. الجمع بين بيان الخطأ وفتح باب الأمل والإصلاح.

نماذج من النصيحة النبوية

كان النبي ﷺ أعظم الناس نصحاء، ومع ذلك كان يختار أحسن الأساليب، ومن ذلك نصحه للشاب الذي جاء يستأذنه في أمر محرم، فلم يعنفه، بل حاوره وذكر له ما يقربه إلى الخير.

فكان أسلوبه ﷺ يجمع بين العلم والرحمة والحكمة.

إن النصيحة من أعظم أبواب الإصلاح، لكنها تحتاج إلى فقه وحكمة، فليست كل كلمة تقال نصيحة، وليس كل وقت مناسبًا للكلام. والعشوائية في تقديم النصائح قد تفسد المقصود وتغلق القلوب، أما النصيحة القائمة على العلم والرحمة وحسن الأسلوب فإنها تفتح أبواب الخير، وتقوي روابط المحبة بين الناس.

فالمؤمن الناصح يجمع بين صدق المحبة، وحسن الكلمة، وحكمة الأسلوب، اقتداءً بقول الله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].



المبحث الثالث والعشرون

العشوائية في اتخاذ المواقف

اتخاذ المواقف من القضايا والأحداث والأشخاص مسؤولية عظيمة؛ لأن موقف الإنسان قد يترتب عليه حكم، أو كلمة، أو قرار، أو تأثير في الآخرين. ولذلك جاء الإسلام بمنهج دقيق يقوم على التثبت، والعدل، وسماع الحقائق، وعدم بناء الأحكام على الظنون والشائعات.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: ١٢].

ومن صور العشوائية في اتخاذ المواقف أن يحكم الإنسان على قضية قبل معرفة تفاصيلها، أو يتبنى رأيًا لمجرد سماعه، أو يتأثر بالعاطفة والضغط الاجتماعي دون بحث وتمحيص.

أولاً: الحكم قبل التثبت من الأخبار

من أخطر صور العشوائية أن يتخذ الإنسان موقفًا بناءً على خبر غير موثق أو معلومة ناقصة.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦].

فالآية أصل عظيم في ضرورة التحقق قبل إصدار الأحكام.

ثانيًا: بناء المواقف على الانطباعات

قد يحكم الإنسان على شخص أو قضية من خلال موقف واحد، أو كلمة عابرة، أو صورة ناقصة، وهذا من الظلم؛ لأن الإنسان لا يُختزل في لحظة واحدة.

قال الله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: ٨].

فالعَدل واجب حتى مع من نختلف معه.

ثالثًا: التأثر بالعاطفة دون ميزان الشرع والعقل

من صور العشوائية أن يندفع الإنسان خلف الغضب أو الحماس أو التعاطف، فيتخذ موقفًا سريعًا ثم يكتشف بعد ذلك أنه أخطأ.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.»

رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

فالقوة الحقيقية في ضبط النفس وحسن التقدير.

رابعًا: التقليد الأعمى في المواقف

من العشوائية أن يتبنى الإنسان موقف جماعة أو شخص أو بيئة معينة دون أن يبحث عن الدليل أو الحقيقة.

قال الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [البقرة: ١٧٠].

فالإسلام يدعو إلى البصيرة، لا إلى التقليد بلا فهم.

خامسًا: عدم التفريق بين الرأي والحقيقة

من صور العشوائية أن يتعامل الإنسان مع رأيه الشخصي وكأنه حقيقة قطعية، أو يظن أن مخالفته تعني رفض الحق.



قال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: ١٧-١٨].

فالحكمة تقتضي الاستماع والنظر والمراجعة.

سادساً: التسرع في نشر المواقف عبر وسائل التواصل

أصبحت وسائل التواصل سبباً في سرعة انتشار المواقف، وقد ينشر الإنسان رأياً أو حكماً أو اتهاماً قبل التأكد، ثم يصعب تدارك أثره.

قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». رواه مسلم (٥).

فليس كل ما يُسمع يُنقل، وليس كل ما يُنقل يُبنى عليه موقف.

سابعاً: إهمال فقه المآلات

من النظام في اتخاذ المواقف أن ينظر الإنسان إلى نتائج كلامه وقراراته، لا إلى اللحظة الحاضرة فقط.

وقد قرر العلماء قاعدة عظيمة: النظر في مآلات الأفعال معتبر شرعاً.

فقد يكون الكلام صحيحاً في أصله، لكن توقيته أو طريقته يؤديان إلى مفسدة أكبر.

آثار العشوائية في اتخاذ المواقف

من آثارها:

☐ ظلم الناس والحكم عليهم بغير حق.

☐ انتشار الشائعات.

☐ تمزيق العلاقات الاجتماعية.

☐ زيادة التعصب والانقسام.

☐ الندم بعد ظهور الحقائق.

☐ فقدان الثقة بين أفراد المجتمع.

علاج العشوائية في اتخاذ المواقف

يمكن علاج ذلك من خلال :

١. التثبت قبل الحكم أو النشر.
٢. جمع المعلومات من مصادر موثوقة.
٣. الاستماع إلى جميع الأطراف.
٤. تقديم العدل على العاطفة.
٥. التفريق بين الرأي والحقيقة.
٦. استشارة أهل الخبرة والاختصاص.
٧. تأخير الحكم عند غياب المعلومات الكافية.
٨. تذكر مسؤولية الكلمة والموقف أمام الله تعالى.

نماذج قرآنية في التثبت

من أعظم النماذج قصة موسى عليه السلام مع الخضر، فقد علّمنا القرآن أن العلم يحتاج إلى صبر وتأنٍ وعدم استعجال الحكم قبل معرفة الحكمة.

وكذلك قصة الإفك، فقد كان من أعظم دروسها وجوب التثبت وعدم تصديق الشائعات.



قال تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)
[النور: ١٢].

إن اتخاذ المواقف يحتاج إلى علم وبصيرة، وليس إلى سرعة وانفعال. فالعشوائية تجعل الإنسان أسيرًا للشائعات والانطباعات، أما المنهج الإسلامي فيربي على التثبت والعدل والحكمة.

والمؤمن لا يكون سريع الحكم، بل يتحرى ويسأل ويتثبت، لأن الكلمة والموقف أمانة، قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

المبحث الرابع والعشرون

العشوائية في بناء الشخصية

الشخصية الإنسانية بناء متكامل يجمع بين العقيدة، والفكر، والأخلاق، والسلوك، وطريقة التعامل مع الحياة. وقد اهتم الإسلام ببناء شخصية المسلم بناءً متوازنًا؛ ليكون ثابت المبادئ، واضح الهدف، نافعاً لنفسه ومجتمعه.

قال الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) [البقرة: ١٣٨].

فالإسلام لا يريد شخصية ذائبة تابعة لكل مؤثر، وإنما يريد إنسانًا يعرف الحق ويلتزمه، وينتفع من تجارب الآخرين دون أن يفقد هويته.

ومن صور العشوائية في بناء الشخصية أن يقلد الإنسان غيره تقليدًا أعمى، أو يتبنى أفكارًا وسلوكيات لا يعرف حقيقتها، أو يجعل معيار النجاح هو ما يراه عند الآخرين دون نظر إلى القيم والمبادئ.

أولاً: التقليد الأعمى للآخرين

من أبرز صور العشوائية أن يجعل الإنسان الآخرين مصدرًا وحيدًا لتشكيل شخصيته، فيقلدهم في اللباس أو السلوك أو الأفكار دون سؤال أو قناعة.

قال الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [البقرة: ١٧٠].

فدّم الله التقليد الذي يقوم على ترك الدليل واتباع العادة بلا وعي.



ثانيًا: فقدان الهوية الشخصية

من العشوائية أن يعيش الإنسان بصورة مستعارة، فيحاول أن يكون نسخة من غيره، وينسى ما منحه الله من قدرات ومواهب وخصائص.

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [الإسراء: ٧٠].

فكل إنسان له قيمة وخصوصية، والمطلوب منه أن ينمي شخصيته وفق هداية الله لا وفق ضغط المجتمع.

ثالثًا: التأثير بالمظاهر دون النظر إلى الحقائق

قد ينجذب بعض الناس إلى شخصيات مشهورة بسبب المال أو الشهرة أو المكانة، فيقلدون أسلوب حياتهم دون النظر إلى القيم التي يحملونها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع...»

رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

وفي الحديث تحذير من التقليد الذي يؤدي إلى فقدان التميز والانقياد بلا بصيرة.

رابعًا: بناء الشخصية على رضا الناس

من صور العشوائية أن يجعل الإنسان هدفه إرضاء الآخرين ولو خالف ذلك مبادئه وقيمه، فيتغير حسب البيئة والظروف.

قال الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٣٩].

فالقوة الحقيقية في الثبات على الحق مع حسن التعامل مع الناس.

خامساً: عدم معرفة نقاط القوة والضعف

من العشوائية أن يعيش الإنسان بلا مراجعة لنفسه، فلا يعرف مواهبه، ولا يعالج عيوبه، ولا يضع خطة لتطوير ذاته.

قال النبي ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.»

رواه الترمذي (٢٤٥٩).

فالعاقل هو الذي يراجع نفسه ويعمل على إصلاحها.

سادساً: التأثير غير المنضبط بوسائل التواصل

أصبحت وسائل التواصل من أكبر المؤثرات في بناء الشخصيات، وقد يقع بعض الناس في تقليد المشاهير أو تبني أفكارهم دون تمحيص.

قال الله تعالى:

(فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: ١٧-١٨].

فالمؤمن يستمع وينظر ويختار ما يوافق الحق.

آثار العشوائية في بناء الشخصية

من آثارها:

☐ ضعف الثقة بالنفس.

☐ فقدان الهوية والقيم.

☐ التناقض في السلوك والمواقف.



- ☐ سهولة التأثر بالانحرافات الفكرية والأخلاقية.
- ☐ العيش وفق توقعات الآخرين لا وفق أهداف واضحة.
- ☐ ضياع الطاقات والمواهب.

علاج العشوائية في بناء الشخصية

يمكن علاج ذلك من خلال :

١. معرفة الإنسان لهويته الإيمانية ورسالته في الحياة.
٢. بناء الشخصية على القرآن والسنة والقيم الصحيحة.
٣. التعلم والاطلاع قبل تقليد الآخرين.
٤. اكتشاف المواهب وتنمية القدرات.
٥. مصاحبة أصحاب الهمم والقيم العالية.
٦. محاسبة النفس ومراجعة السلوك.
٧. الاستفادة من الآخرين دون فقدان الشخصية والاستقلالية.
٨. وضع أهداف واضحة يسعى الإنسان لتحقيقها.

نماذج من بناء الشخصية في القرآن والسنة

من أعظم النماذج شخصية النبي ﷺ، فقد جمع بين الرحمة والقوة، والتواضع والعزة، والعبادة والعمل.

قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١].

وكذلك شخصية يوسف عليه السلام التي جمعت بين الإيمان، والعفة، والعلم، وحسن الإدارة.

قال تعالى: (إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ) [يوسف: ٥٥].

إن بناء الشخصية يحتاج إلى وعي ومنهج، وليس إلى التقليد العشوائي أو التأثر بكل جديد. فالمسلم يستفيد من تجارب الآخرين، لكنه لا يفقد هويته، وينفتح على العالم، لكنه يبقى ثابتاً على قيمه.

والشخصية الناجحة هي التي تعرف ربها، وتعرف نفسها، وتعرف هدفها، وتسير في الحياة بثقة وبصيرة، بعيداً عن العشوائية والتبعية، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩].



المبحث الخامس والعشرون

العشوائية في التفكير

التفكير نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، به يميز الإنسان بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وبه يعمر الأرض ويحقق مقاصد الخلافة فيها. وقد دعا القرآن الكريم إلى أعمال العقل والتدبر والنظر.

قال الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ١٩٠].

ومن صور العشوائية في التفكير أن يستقبل الإنسان الأفكار دون تمحيص، أو يصدق كل ما يسمع، أو ينتقل من رأي إلى آخر بلا منهج أو معيار، فيصبح تابعاً لكل مؤثر جديد.

أولاً: استقبال الأفكار دون تمحيص

من أخطر صور العشوائية الفكرية قبول كل فكرة ترد إلى الإنسان دون سؤال عن مصدرها، أو النظر في صحتها، أو معرفة آثارها.

قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦].

فالإسلام يربي المسلم على التثبت، لا على التلقي العشوائي.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.»

رواه مسلم (٥).

فليس كل ما يُسمع يصلح أن يُنقل أو يُبنى عليه موقف.

ثانيًا: الانتقال بين الآراء بلا منهج

من العشوائية أن يكون الإنسان سريع التأثر، ينتقل من فكرة إلى أخرى، ومن رأي إلى رأي، دون أصول ثابتة أو ميزان يرجع إليه.

قال الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) [آل عمران: ٧].

فالثبات على الحق يحتاج إلى علم وبصيرة.

ثالثًا: ضعف القراءة والتعلم

العقل الذي لا يتغذى بالعلم يصبح عرضة لكل فكرة، ولذلك كان طلب العلم من أسباب بناء التفكير المنظم.

قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٩].

آثار العشوائية في التفكير

☐ سرعة تصديق الشائعات.

☐ التناقض في المواقف.

☐ ضعف القدرة على التحليل.

☐ التأثر بالضغوط الاجتماعية والإعلامية.

☐ فقدان الاستقلالية الفكرية.



علاج العشوائية في التفكير

١. طلب العلم والتوسع في المعرفة.
٢. التثبت قبل قبول الأفكار.
٣. الرجوع إلى المصادر الموثوقة.
٤. تدريب النفس على الحوار والنقد البناء.
٥. بناء التفكير على أصول وقيم ثابتة.

المبحث السادس والعشرون

العشوائية في الأهداف

الإنسان الناجح هو الذي يعرف لماذا يعيش، وإلى أين يسير، وما الغاية التي يريد الوصول إليها. أما من يعيش بلا هدف واضح فإنه يصبح أسير الظروف، ينتقل من حال إلى حال دون بناء أو إنجاز.

وقد بين الله تعالى أن خلق الإنسان له غاية عظيمة:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].

فالعبودية لله هي أعظم هدف، وتتفرع عنها أهداف الإصلاح والعلم والعمل والعمران.

أولاً: العيش بلا رسالة واضحة

من صور العشوائية أن يعيش الإنسان لأجل المأكل والمشرب فقط، دون أن يكون له أثر أو مشروع أو غاية نافعة.

قال الله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) [المؤمنون: ١١٥].

فالمؤمن يعلم أن حياته مسؤولية وليست عبثًا.

ثانيًا: غياب التخطيط للمستقبل

من العشوائية أن يترك الإنسان الأيام تقوده دون أن يحدد أهدافه العلمية أو الأسرية أو العملية.



قال النبي ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس...» رواه الحاكم (٧٨٤٦).

وفيه الحث على استثمار العمر قبل فواته.

ثالثًا: كثرة الأمنيات وقلة العمل

بعض الناس يضع أهدافًا في ذهنه لكنه لا يتبعها بسعي وعمل، فيبقى أسير التمني.

قال الله تعالى: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) [النجم: ٣٩].

علاج العشوائية في الأهداف

١. تحديد الغاية الكبرى في الحياة.

٢. وضع أهداف واقعية واضحة.

٣. تقسيم الأهداف إلى مراحل.

٤. مراجعة الإنجاز باستمرار.

٥. ربط الأهداف برضا الله تعالى.

المبحث السابع والعشرون

العشوائية في ترتيب الأولويات

من أعظم صور النظام أن يعرف الإنسان ما يقدم وما يؤخر، لأن كثرة الأعمال لا تعني حسن العمل، وإنما النجاح يكون بوضع كل أمر في مكانه المناسب.

قال الله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) [الرعد: ٨].

ومن صور العشوائية تقديم المهم على الأهم، والانشغال بالجزئيات مع إهمال الأصول، والاهتمام بما يجذب الانتباه وترك ما يبني الحياة.

أولاً: الاشتغال بالفروع وترك الأصول

من الخطأ أن ينشغل الإنسان بالمسائل الصغيرة ويترك الواجبات الكبرى.

وقد أنكر الله على من يهتم ببعض الأمور ويهمل أعظمها:

(اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) [البقرة: ٤٤].

ثانياً: تقديم الدنيا على الآخرة

من صور الخلل أن يجعل الإنسان المال أو الشهرة أو المكانة غايته الكبرى، وينسى الاستعداد للقاء الله.

قال تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى: ١٦-١٧].



ثالثًا: إضاعة الوقت في غير المهم

العشوائية في الأولويات تظهر حين يستهلك الإنسان عمره في أمور قليلة النفع، ويؤجل الأعمال النافعة.

قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.»

رواه البخاري (٦٤١٢).

علاج العشوائية في ترتيب الأولويات

١. معرفة الواجبات قبل المستحبات.
 ٢. تقديم ما ينفع الناس على ما يلهيهم.
 ٣. تنظيم الوقت وفق الأهمية.
 ٤. وضع قائمة بالأعمال وترتيبها.
 ٥. مراجعة النفس في كيفية استثمار العمر.
- إن التفكير المنظم، والهدف الواضح، وترتيب الأولويات، هي أركان أساسية لحياة ناجحة. أما العشوائية فيها فتجعل الإنسان مشتتًا، كثير الحركة قليل الإنجاز.
- والإسلام جاء بمنهج يبني الإنسان المتوازن: يعرف غايته، ويزن أفكاره، ويرتب أعماله،
- قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون: ٨].
- فالنظام في الفكر والهدف والأولوية طريق إلى الإتقان والنجاح في الدنيا والآخرة.

المبحث الثامن والعشرون

العشوائية في التعامل مع الأبناء عند الخطأ

الأبناء نعمة وأمانة، وتربيتهم تحتاج إلى علم وصبر وحكمة، ومن أكثر المواقف التي تحتاج إلى حسن إدارة موقف الخطأ؛ لأن الخطأ جزء من طبيعة الإنسان، ولا سيما في مرحلة الطفولة والنشأة.

قال النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون».

رواه الترمذي (٢٤٩٩).

فالمقصود من التربية ليس البحث عن طفل لا يخطئ، فهذا غير ممكن، وإنما تعليمه كيف يعرف خطأه ويصححه ويتعلم منه.

ومن صور العشوائية في التعامل مع أخطاء الأبناء: الغضب الشديد، أو العقوبة غير المناسبة، أو الإهانة، أو تجاهل الخطأ تمامًا، أو معاقبة الطفل دون معرفة السبب.

أولاً: الغضب والانفعال عند الخطأ

من أكثر صور العشوائية أن يكون رد فعل الوالدين قائماً على الغضب لا على التربية، فيصدر منهما كلام أو تصرف يزيد المشكلة.

وقد أوصى النبي ﷺ بضبط الغضب فقال: «لا تغضب».

رواه البخاري (٦١١٦).

فهدوء المربي يساعده على اختيار الأسلوب الأنسب للإصلاح.



ثانيًا: العقوبة بلا فهم للسبب

من العشوائية أن يعاقب الوالدان الطفل قبل معرفة سبب الخطأ، فقد يكون الطفل جاهلاً بالحكم، أو أخطأ بسبب صغر سنه، أو لم يقصد ما وقع منه.

والعدل يقتضي فهم الموقف قبل إصدار الحكم.

قال الله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا) [المائدة: ٨].

والعدل مطلوب حتى مع الأبناء.

ثالثًا: التناقض في التربية

من صور العشوائية أن يُسمح للطفل بالخطأ في موقف، ثم يُعاقب على الخطأ نفسه في موقف آخر دون سبب واضح، فيفقد الطفل القدرة على فهم القواعد.

والتربية الناجحة تحتاج إلى وضوح وثبات.

رابعًا: الإهانة بدل التوجيه

من الأخطاء التربوية استخدام العبارات الجارحة أو تحقير الطفل عند وقوع الخطأ، فهذا قد يضعف ثقته بنفسه ولا يعلمه طريقة الإصلاح.

وقد كان النبي ﷺ يصحح أخطاء الناس بلطف، ومن ذلك قوله للغلام:

«يا غلام، سَمَّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك.» رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

فبدأ بالتعليم والتوجيه.

خامساً: المقارنة بين الأبناء

من صور العشوائية مقارنة طفل بإخوته أو بغيره عند الخطأ، لأن ذلك قد يولد الغيرة أو الشعور بالنقص، بدل أن يعالج السلوك نفسه.

والأصل أن يعالج الوالد الخطأ لا أن يهدم شخصية الطفل.

سادساً: التساهل المفرط مع الأخطاء

كما أن القسوة خطأ، فإن ترك الأخطاء بلا توجيه خطأ آخر؛ لأن الطفل يحتاج إلى معرفة الحدود والقواعد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين...»

رواه أبو داود (٤٩٥).

ففي الحديث دلالة على أهمية التوجيه والتدرج في التربية.

سابعاً: معاقبة الطفل أمام الآخرين

من العشوائية فضح الطفل أو إحراجة أمام الناس، لأن المقصود من التأديب الإصلاح لا كسر النفس.

والنصيحة والتوجيه يكونان بقدر الحاجة، مع حفظ كرامة الطفل.

آثار العشوائية في التعامل مع أخطاء الأبناء



من آثارها :

- ☐ ضعف الثقة بالنفس.
- ☐ الخوف بدل التعلم.
- ☐ إخفاء الأخطاء عن الوالدين.
- ☐ زيادة العناد.
- ☐ ضعف الحوار داخل الأسرة.
- ☐ اضطراب شخصية الطفل.

علاج العشوائية في التعامل مع أخطاء الأبناء

يمكن علاج ذلك من خلال :

١. الهدوء قبل إصدار الحكم.
٢. فهم سبب الخطأ ودوافعه.
٣. التفريق بين الخطأ المتعمد وغير المتعمد.
٤. تعليم الطفل الصواب بدل الاكتفاء بالعقوبة.
٥. اختيار العقوبة التربوية المناسبة عند الحاجة.
٦. الثناء على التحسن والإصلاح.
٧. جعل الوالدين قدوة في الاعتذار وتصحيح الأخطاء.

٨. الدعاء للأبناء بالصلاح والهداية.

نماذج من التربية النبوية

كان النبي ﷺ يجمع بين الرحمة والتوجيه، فلم يكن يعالج الخطأ بالإهانة، بل بالتعليم والإصلاح.

ومن ذلك موقفه مع الأعرابي الذي أخطأ في المسجد، فلم يوبخه مباشرة، بل علمه برفق، فكان ذلك سبباً في فهمه وقبوله للتوجيه.

إن الخطأ عند الأبناء فرصة للتربية وليس سبباً لتحطيم الشخصية. فالعشوائية في التعامل مع الأخطاء بين الإفراط والتفريط، أما المنهج الإسلامي فيقوم على الحكمة والرحمة والعدل.

فالوالد الناجح لا يسأل فقط: كيف أعاقب ابني؟ بل يسأل: كيف أعلمه؟ وكيف أجعله يتجنب الخطأ مستقبلاً؟

وبذلك تتحول الأخطاء من عقبات في التربية إلى مواقف تعليمية تبني شخصية الأبناء وتزيد نضجهم.



أهم نتائج كتاب

فقه النظام ومخاطر العشوائية

بعد دراسة مفهوم العشوائية، وبيان صورها في حياة الإنسان، وبيان منهج الإسلام في النظام والإتقان، يمكن تلخيص أهم نتائج الكتاب فيما يأتي:

أولاً: الإسلام دين النظام والإتقان

ثبت من خلال البحث أن النظام ليس أمراً شكلياً أو سلوكاً إدارياً فقط، بل هو أصل من أصول البناء الإسلامي؛ فقد أقام الله هذا الكون على نظام دقيق، ودعا الإنسان إلى حسن العمل والإتقان.

قال الله تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ) [النمل: ٨٨].

وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٣).

ثانياً: العشوائية سبب لكثير من مظاهر الفشل

أثبت البحث أن كثيراً من المشكلات الفردية والاجتماعية لا ترجع إلى ضعف الإمكانيات فقط، وإنما إلى غياب المنهج والنظام؛ فالعشوائية في التفكير، والعمل، والعلاقات، والتربية، واتخاذ القرارات تؤدي إلى ضياع الجهود وتأخر النتائج.

ثالثاً: العشوائية ليست مجرد فوضى خارجية

العشوائية تبدأ من داخل الإنسان؛ من طريقة تفكيره، ونظراته للحياة، وضعف التخطيط، واضطراب الأولويات، ثم تظهر آثارها في سلوكه وعلاقاته ومجتمعه.

رابعاً: أهمية بناء الإنسان المنظم

إن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الفرد، ولا يمكن بناء أمة قوية بأفراد يعيشون بلا أهداف أو منهج؛ فالشخصية المنظمة تعرف غايتها، وتحسن استثمار وقتها، وتضبط أعمالها، وتتحمل مسؤولياتها.

خامساً: ضرورة الجمع بين العبادة والنظام

بيّن البحث أن العبادات في الإسلام قائمة على النظام والانضباط؛ فالصلاة مرتبطة بالمواعيت، والصيام له زمن محدد، والزكاة لها أحكام وضوابط، مما يدل على أن العبادة لا تنفصل عن التنظيم.

سادساً: خطورة غياب التخطيط في حياة الإنسان

توصل البحث إلى أن الإنسان الذي يعيش بلا أهداف واضحة يكون أكثر عرضة للتشتت وضياح العمر، بينما وضوح الغاية يساعد على حسن استثمار الطاقات وتحقيق الإنجازات.

سابعاً: التربية تحتاج إلى منهج لا إلى ردود أفعال

أظهرت الدراسة أن تربية الأبناء لا تنجح بالعشوائية، سواء بالتشدد المفرط أو التساهل الكامل، وإنما تحتاج إلى علم، وقدوة، وحوار، ومتابعة مستمرة.



ثامناً: الحكمة أساس التعامل مع الناس

أكد البحث أن كثيراً من النزاعات والمشكلات تنشأ بسبب العشوائية في التعامل، سواء في النصيحة أو الدعوة أو الحكم على الآخرين، وأن المنهج الإسلامي يقوم على الحكمة والرحمة والتثبت.

تاسعاً: أهمية ترتيب الأولويات

من أهم نتائج البحث أن النجاح لا يكون بكثرة الأعمال فقط، بل بوضع كل عمل في موضعه الصحيح، وتقديم الواجبات الكبرى على الأمور الثانوية، والاشتغال بما ينفع في الدنيا والآخرة.

عاشرًا: وسائل التواصل زادت الحاجة إلى المنهجية

أصبح الإنسان في عصر المعلومات أكثر حاجة إلى التثبت والوعي؛ لأن سرعة انتشار الأخبار والأفكار قد تجعل العشوائية الفكرية والاجتماعية أكثر تأثيراً وخطراً.

حادي عشر: علاج العشوائية ممكن

أكد البحث أن العشوائية ليست قدرًا لازماً، بل يمكن علاجها من خلال:

☐ العلم والتفقه.

☐ وضوح الأهداف.

☐ تنظيم الوقت.

☐ محاسبة النفس.

☐ التخطيط.

□ الاستفادة من أهل الخبرة.

□ الاقتداء بمنهج النبي ﷺ في التربية والإصلاح.

ثاني عشر: النظام طريق للإتقان والنجاح

إن النظام لا يعني الجمود أو فقدان المرونة، وإنما يعني وضع الأمور في مواضعها، واستثمار الطاقات بطريقة صحيحة، وتحقيق مقاصد الإنسان في إطار شرعي متوازن.

خلص الكتاب إلى أن العشوائية خطر يهدد بناء الفرد والأسرة والمجتمع، وأن الإسلام قدّم منهجاً متكاملًا يقوم على النظام والإحسان والإتقان.

فالإنسان المسلم ليس إنساناً يعيش بلا غاية، ولا يتحرك بلا ميزان، وإنما هو صاحب رسالة، يعرف هدفه، وينظم وقته، ويحسن عمله، ويزن مواقفه، حتى يكون عنصر بناء وإصلاح في الحياة.

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١].



توصيات الكتاب

بعد استعراض مفهوم العشوائية، وبيان مظاهرها وآثارها، وبيان منهج الإسلام في النظام والإتقان، يوصي هذا الكتاب بجملة من التوصيات المهمة:

أولاً: نشر ثقافة النظام في المجتمع

ضرورة ترسيخ مفهوم النظام باعتباره قيمة إسلامية وحضارية، وليس مجرد أسلوب إداري، وذلك من خلال الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والمؤسسات المختلفة.

ثانياً: العناية بالتربية على المسؤولية

ينبغي تربية الأبناء منذ الصغر على تحمل المسؤولية، واحترام الوقت، والالتزام بالواجبات، وتعويدهم على التخطيط وحسن الاختيار.

ثالثاً: تعزيز قيمة الإتقان في العمل

الحاجة إلى نشر ثقافة الإحسان في الأعمال، ومحاربة مظاهر الإهمال والتسيب وضعف الالتزام، اقتداءً بهدي الإسلام الذي دعا إلى إتقان العمل.

رابعاً: إدخال مهارات التخطيط وإدارة الوقت

ينبغي تعليم الناس مهارات ترتيب الأولويات، ووضع الأهداف، وإدارة الوقت؛ لأن كثيراً من صور العشوائية سببها غياب المنهجية في إدارة الحياة.

خامساً: التأكيد على أهمية التثبت قبل إصدار الأحكام

ضرورة تربية المجتمع على التحقق من الأخبار، وعدم بناء المواقف على الظنون أو الشائعات، خصوصاً في زمن سرعة انتشار المعلومات.

سادساً: إعداد برامج تربوية تعالج العشوائية

يوصى بإقامة دورات ومحاضرات وبرامج توعوية تعالج مظاهر العشوائية في العبادة،
والتربية، والعلاقات، والعمل، والتفكير.

سابعاً: تفعيل دور العلماء والدعاة

ينبغي أن يكون للدعاة والعلماء دور أكبر في بيان قيمة النظام في الإسلام، وربط الأحكام
الشرعية بواقع الناس، وتقديم نماذج عملية في الإصلاح والبناء.

ثامناً: تعزيز منهج الحوار والحكمة

الحرص على معالجة الخلافات والنزاعات بالحكمة والعدل، والابتعاد عن الانفعال
والتسرع، وتقديم الإصلاح على الخصومة.

تاسعاً: بناء الشخصية المسلمة الواعية

ضرورة الاهتمام ببناء شخصية متوازنة تجمع بين الثبات على المبادئ، والانفتاح الواعي،
والاستفادة من تجارب الآخرين دون تقليد أعمى.

عاشراً: الاستفادة من التقنية بطريقة منظمة

توجيه استخدام وسائل التواصل الاجتماعي نحو العلم والفائدة والبناء، مع نشر ثقافة
التثبت والوعي الرقمي.



خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي أحكم صنعه، وأتقن خلقه، وجعل هذا الكون قائماً على نظام دقيق وحكمة بالغة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلی اللہ علیہ وسلم الذي أرسى معالم النظام في حياة الأمة، فكان في عبادته، وتعليمه، وقيادته، ومعاملاته، مثلاً أعلى في الحكمة والإتقان.

وبعد...

فقد جاء هذا الكتاب "فقه النظام ومخاطر العشوائية" محاولةً لبيان جانب مهم من جوانب الإصلاح في حياة الإنسان، وهو الانتقال من الفوضى والتخبط إلى المنهج والانضباط، ومن ردود الأفعال إلى حسن التخطيط والتدبير.

وقد ظهر من خلال مباحث الكتاب أن العشوائية ليست مجرد أخطاء بسيطة في السلوك، بل هي خلل في التفكير والمنهج قد يمتد أثره إلى العبادة، والأسرة، والتربية، والعمل، والعلاقات، والدعوة، وبناء الشخصية.

كما تبين أن الإسلام لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا ووضع له ميزاناً من الهداية والاعتدال، فدعا إلى التثبت قبل الحكم، والحكمة في الدعوة، والإحسان في العمل، والعدل في التعامل، وحسن استثمار الوقت، وترتيب الأولويات.

إن الأمة التي تنتقل من العشوائية إلى النظام لا تبني أفراداً ناجحين فقط، بل تبني أسراً مستقرة، ومجتمعات قوية، وحضارة قائمة على العلم والعمل والإتقان.

وإن علاج العشوائية يبدأ من داخل الإنسان؛ حين يراجع نفسه، وينظم حياته، ويعرف رسالته، ويجعل كتاب الله وسنة رسوله صلی اللہ علیہ وسلم منهجاً يسير عليه.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعا، وأن يرزقنا حسن التنظيم في أعمالنا، والإخلاص في أقوالنا، والإتقان في أفعالنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

كتبه

فضيلة الشيخ

حذيفة بن حسين القحطاني

